٢

المرجعية الدينية

الحلقة الثانية

في حوار صريح مع

سماحة المرجع الديني الكبير

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم

اعداد وتقديم
عبد الهادي السيد محمد تقي الحكيم

مؤسسة المرشد
بيروت ـ لبنان

مرجعية الدينية

المرجعية الدينية

الحلقة الثانية

في حوار صريح مع

سماحة المرجع الديني الكبير

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم دام ظله

إعداد وتقديم

عبد الهادي السيد محمد تقي الحكيم

مؤسسة المرشد
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

مؤسسة المرشد ـ لبنان ـ بيروت
ص. ب:٢٥/٢٩٥ الغبيري ـ ت:٠٣/٥٩٢٥٥٦ Email : elmurshid@yahoo.com

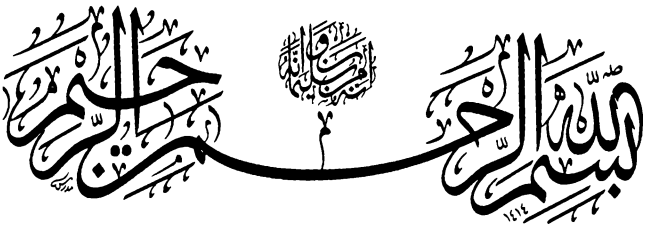
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٤

مكتب سماحة آية الله العظمى الفقيه

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (دام ظله)

النجف الأشرف ـ العراق: تلفون ٣٦٤٥٤١/٣٧٠٠٤٦ـ٣٣ـ٩٦٤

السيدة زينب(ع) ـ سوريا:تليفاكس: ٦٤١٣٤٩٤ـ١١ـ٠٠٩٦٣

تلفـون: ٦٤١٦٤٠٤

ص. ب. ٦١٧

قـم المقدسة ـ إيـران : فاكس : ٧٤٢١٤٦ ـ ٢٥١ ـ ٠٠٩٨

تلفون :٧٤٠٢٣٠

ص. ب. ٤٨٦/٣٧١٨٥

بـيـروت ـ لبنـان: فاكس ٢٧٣٦٩٢ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

خليوي : ٣٥٥٣٣٦ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦١

ص. ب. ٢٥/٢٠٣

عنـوان الإنتـرنت: http://www.alhakeem.com

البـريد الإليكتـروني: alhakeem@alhakeem.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد ؛

فقد أطمعتني إجابات سماحة آية الله العظمى الفقيه السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم«دام ظله» المسهبة، والموسعة عن الأسئلة والاستفسارات التي اعتدت توجيهها إليه في موضوعات فكرية وحضارية مختلفة، وفي مناسبات وأزمان متفاوتة، في أن أتوجّه إليه اليوم بمسائل تدور حول قطب فكري واحد، وتعنى بهمٍ متفرد، شغل وبات يشغل المعنيين بالشأن الديني، وبمنظومة القيم الاجتماعية العامة، تلك هي مسألة المرجعية الدينية، متناولة من محاور متعددة، وبؤر وأبعاد مختلفة، سعياً وراء

الكشف عن مواقف للمرجعية الدينية غائبة أو مغيَّبة في ظروف شتى، شخَّصت فيها المرجعية الدينية واجبها الشرعي فأقدمت عليه، وحدَّدته فسعت إليه، لم تثنها عن اتخاذ القرار الصعب مشاكل ومتاعب، ولم تمنعها عن الإقدام عليه عوائق ومصاعب، قاصدة وجه الله عز وجل قبل كل وجه، طالبة رضا الله جل وعلا قبل كل رضا، مطمئنة النفس بقدر الله، راضية بقضاء الله، صابرة عند بلاء الله، مشتاقة إلى لقاء الله، موالية لأولياء الله، معادية لأعداء الله.

ثم جدَّت ظروف، وتغيرت أحوال قضت بأن تعتم ـ حتى على المعنيين بالشأن الديني فضلاً عن غيرهم من المؤمنين ـ جلَّ ما نهضت به هذه المؤسسة الخيرة من أعباء، وما تحملته من أوضاع .

وفي محاولة لربط حلقات الفعل المؤثر بعضها ببعض تجلية لما قامت به المرجعية أمس، ووقوفاً على ما تنهض به في هذا الزمن الصعب اليوم، من مسؤوليات جسام، وهموم كبار، وما رافق ذلك وصاحبه من شؤون وشجون، وآمال وآلام، ومحن وأهوال، جوراً من عدو

غاشم حيناً، وقساوة من ابن ظالم أحياناً ـ كان هذا الحوار الذي أضعه ـ قارئي الكريم ـ بين يديك آملاً أن أضع أمامك الصورة الغائبة المغيبة لبصر الواقع حيث هو، وتطلع على الحقيقة كما هي.

وقد قمت بتخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في النص مع توضيح مختصر للأحداث، وإلمامة بسيطة بالمؤسسات، وتعريف موجز بالأعلام. ذاكراً بأسطر معدودة أمام اسم كل علم منهم تاريخ ولادته ووفاته، ومكان دراسته وتحصيله، وفاعلية دوره وتأثيره، مسلطاً الضوء على أهم ما قام به من عمل علمي أو جهادي، وفاتحاً كوةً على أبرز ما اضطلع به من دور قيادي أو ريادي، ذاكراً ما لا يزيد عن ثلاثة من كتبه، مشيراً لمن أراد المزيد إلى مصادر الدراسة عنه ومراجع البحث فيه في هامش مختصر فضلّت له أن لا يربو عما كان لظروف المكان.

وأني إذ أتقدم بالشكر الجزيل لسماحة سيدنا «دام ظله» على ما بذله معي من جهد، وما صرفه لأجلي من وقت في إجابته عن أسئلتي التي لامست الشغاف حيناً

ولابست الجرح أحياناً، رغم كثرة مشاغله وضراوة شواغله، فإني أبتهل إلى العلي القدير أن يحفظ ويسدد، ويعين ويؤيد المشتغلين بالعلم والعمل الصالح، ويأخذ بأيديهم وأيدينا جميعاً لما يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

في مدينة النجف الأشرف حيث تمتزج العراقة بالحداثة، والتراث بالمعاصرة، والأصالة بالتقليد، والضوء بالظل، والإبداع بالاتّباع.

وحيث يمتاح الاجتهاد روح النص فيستنطقه، ويخترق عمق المتن فيستظهره، ويجلي محتوى الشكل فيستشفه.

وحيث تتآزر علوم اللغة، والبلاغة، والنقد، والتفسير، وأصول الفقه، والمنطق وأضرابها على تحليل الخطاب الشرعي، وسبر أغواره، واستخراج مكنوناته، واستكناه تجلياته.

في مدينة يجتهد في مساجدها الماء، ويستنبط في معاهدها الحبر، ويستدل في مدارسها الورق، ويتناغم في بحوثها الحس والوجدان والحدس، ويتحاور في رؤاها العقل والنظر والنقل، حواراً يفكك فيه العقل والنظر متن

النقل ثم يعيد تركيبه صعوداً نحو إستيحاء المضمون واستنطاق الدلالة واستنباط الحكم.

مدينة تختضب فيها الروح بدفء القرب وطيب الوصال، وهي تستنطق كل يوم ذاهبة وآيبة حول ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نور وعلم وحكمة وفقه وبلاغة الإمام علي باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»، وتستدعي الحق والعدل والقسط والإنصاف من سيرته وتاريخه «علي مع الحق والحق مع علي»، وتستحضر صواب الحكم وعمق الفهم ونصاعة الفتوى ونزاهة التقوى من عدالته ونهجه «أقضاكم علي»، وتستلهم شجاعة الرأي وجرأة القول وثبات القلب وفروسية المنازلة وصبر المجالدة، من صولاته وجولاته «لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار».

فيكون للفتوى عند ذاك عمق تاريخي متجذر موصول بماض من عصر التشريع حي، ونصاعة مستوحاة من نور الوحي المبين وإشراقة البيان الكريم وضّاءة،

وبطولة موروثة من فروسية ساحات الجهاد وقراع الأسنة والحراب محركة فاعلة.

مدينة عمر جامعتها الدينية أكثر من ألف عام، احتضنت علوم اللغة العربية وآدابها فصانتها من حملات التتريك والتذويب، وعمود الشعر العربي وتفعيلاته فحصّنتها من موجات التجريب والتغريب، وعلوم الشريعة الإسلامية وأحكامها فحفظتها من طروحات التجديف والتزييف، وأصول العقيدة وفروعها فنزهتها عن محاولات التشويه والتحريف.

متحملة جرّاء ذلك الموقف الصلب ما تحمّلت، معانية لأجله ما عانت، من مآس ومحن شاخ على مجالدتها الشاب، وشؤون وشجون شبّ على ضراوتها الرضيع، وآلام ومصائب استنزفت من الدموع والدماء ما لا يصبر على مثيله إلاّ الثلّة المجاهدة.

مدينة خرّجت جامعتها الدينية الحديثة ـ ناهيك عن تاريخها العلمي العريق ـ الجمع الغفير من العلماء الأعلام فغدت قلعة للمرجعية الدينية الأصيلة، وحصناً من حصون الشريعة السمحاء، ومعلماً جهادياً ينير الدرب للسالكين،

وحاضرة من أهم حواضر فقه آل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وحين تثار اليوم حول مسألة المرجعية الدينية التساؤلات، وتتفرع الإشكالات، وتتشعب الطروحات، تتوجه الأنظار صوب النجف الأشرف من جديد باحثة عن جواب : يرشد ويسدد، ويقود ويهدي، ويوضح ويبين.

والنجف هذه المرة حاضرة بشخص أحد مراجعها الأجلاء، سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)، وهو من عرفته جامعة النجف الدينية أُستاذاً من أساتذة حوزتها العلمية العتيدة في الفقه وأصوله سنوات وسنوات، تخرج على يديه فيها نخبة من أفاضل أساتذة الحوزات العلمية ومدرسيها اليوم، في حاضرات النجف الأشرف، وقم المقدسة، ودمشق، ولبنان، والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية... وغيرها.

كما عرفته النجف الأشرف مجتهداً من مجتهديها الأفاضل، عاصر أكثر من مرجعية دينية عامة، وكان قريباً من مرجعية جدّه الإمام الراحل السيد محسن الحكيم

(قدس سره) أحد أبرز مراجع التقليد الفاعلين لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العصر الحديث.

وعرفته الأوساط العلمية والمحافل الدينية كذلك محققاً بارعاً تشهد له سوح البحث والمناظرة بالدقة والعمق والرصانة، ومؤلفاً موسوعياً أحكم في أصول الفقه (المحكم)، وأضاء في دنيا الفقه (مصباح المنهاج)، و(حَشًى على الكفاية) حدّ الكفاية، وأنهج للصالحين (منهاج الصالحين)، وأصّل عملياً (الأصول العملية) وله من المؤلفات والرسائل والكتب من غير هذه وتلك مما هو معروف متداول مشهور.

وحين تصدى للمرجعية الدينية، وأصبح من مراجع التقليد الأجلاء، نهض بأعباء الزعامة والتدريس والفتيا، وتولى بدأب وصبر وحنو أُمور المؤمنين العامة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مهتماً بشؤون الفقراء المعوزين المحتاجين، معنياً بآمال وآلام المضطهدين المقهورين، مخففاً عن كواهل الآلاف منهم المعاناة الصعبة القاسية المروعة زمن الحصار الجائر والقحط العسير الشديد.

وله من المواقف الجليلة في الشأن الاجتماعي

والفكري ما لا يسعه هذا التمهيد الموجز.وها هي ذي الأسئلة تطرح، وها هو ذا سماحته يجيب.

عبد الهادي

السيد محمد تقي الحكيم

١٨/ذي الحجة الحرام /١٤١٩هـ

س١ هل يقتصر عمل المرجعية الدينية على إصدار الفتاوى في الأحكام الفقهية وشؤون القضاء بين الناس، أو يمتد ليشمل إضافة لذلك حفظ بيضة الإسلام وشؤون المؤمنين العامة المختلفة والسير بهم وبالإسلام نحو مستقبل حياتي أفضل وفق أحكام وآداب الشريعة الإسلامية، وإذا كان يمتد لذلك، فهل ترون أهمية إضافة شروط أخرى للمرجع المقلَّد، وعدم الاقتصار على الشروط المذكورة في الرسائل العملية، وذلك للحاجة الماسة لذلك في هذا الصدد؟

☑ الوظيفة الأساسية للمسلم هي العمل على طبق أحكام وآداب الشريعة الإسلامية، وبذلك يحكم العقل خروجاً عن المسؤولية مع الله تعالى الذي شرَع تلك الأحكام والآداب، ليستحق المسلم بذلك الثواب، ويأمن من العقاب.

وقد أكدت الآيات الكريمة والنصوص الشريفة على ذلك إرشاداً لحكم العقل المذكور.

نعم، لا ريب في أن من جملة الواجبات الشرعية حفظ بيضة الإسلام، والسير بالإسلام والمسلمين نحو الأفضل، وهو لا يخص المجتهد المقلَّد، بل يعم كل أحد حتى عامة الناس. لكن ضوابط العمل لابد أن تكون شرعية، وتمييز الضوابط الشرعية وتحديدها لغير المجتهد لا يتم إلا بالتقليد.

ومع اختلاف المجتهدين يتعين التقليد بالضوابط المذكورة في الرسائل العملية للتقليد، لأنها هي التي دلت عليها الأدلة الشرعية.

وذكر ضوابط غيرها تلاعب بالأحكام الشرعية لا يسوغه الاهتمام بالوظيفة المذكورة بعد أن كان المطلوب القيام بتلك الوظيفة على الوجه الشرعي، لا على وجه آخر لا يأذن به الله تعالى ولا تبرأ الذمة معه.

نعم، إذا عيَّن المجتهد المقلَّد ضوابط العمل لنفسه وللناس، فله أن يستعين في أداء الوظيفة بذوي الاختصاص والمعرفة.

س٢ هل تفضلون أن يرشد المرجع الناس لتقليد من يراه أهلاً من بعده للمرجعية، كما فعل الشيخ الجليل صاحب الجواهر (قدس سره)عندما حضرته الوفاة .

☑ إذا كان المقصود أن يكون ذلك سُنَة متبعة إلزامية فلا مجال له..

(أولاً): لعدم الدليل الشرعي على رجحانه، فضلاً عن لزومه. كما لا دليل على حجيته بنحو لا يعارض بشهادة غيره من أهل الخبرة، لأن المرجع لا يزيد عن كونه رجلاً واحداً من أهل الخبرة. وهالة المرجعية لا تكفي في الحجية والترجيح على بقية أهل الخبرة .

نعم، قد يكون لها أثر في تكوين قناعة لبعض الناس فيطمئنون أو يقطعون بأهلية المرشَّح بسببها وخطأ المعارض.

لكن الحجة حينئذ القناعة المذكورة، لا قول المرجع. ولا ضابط لذلك.

(وثانياً): لان تحديد المرجع العام الذي له حق

الترشيح كثيراً ما لا يكون ميسوراً، إذ كثيراً ما تكون المرجعية مشتركة بين أكثر من واحد بِنِسَب غير مضبوطة، كما ربما يحصل الخطأ في تحديد ذلك عن عمد أو من دون عمد. وذلك يفتح باب الشقاق والخلاف.

وثالثاً: لأن المرجع غير معصوم، بل هو بشر معرّض للمؤثرات الخارجية التي توجب التباس الأمر عليه، فلو كان ترشيحه ملزماً لتردّت المرجعية تدريجياً، حيث إن الخطأ الأول في الاختيار يتسبب في اختيار المرجع الضعيف غير المؤهل، الذي هو أولى بالتعرض للخطأ في الاختيار، ومثل ذلك يجري في الطبقات اللاحقة، فكل مرجع أضعف مِن من قبله، حتى قد لا يبقى شيء.

على أن شعور قوى الشرّ الفاعلة في الساحة العالمية بوجود النظام الملزم في المرجعية يجعلها تتكالب على النفوذ للكيان المرجعي من أجل التحكم فيه، وحرف المرجعية عن طريقها المستقيم.

ولذا كان إرجاع الأئمة عليهم السلام للعلماء على نحو الإطلاق، من دون تنبيه لترشيح بعضهم لبعض، ونص بعضهم على بعض. إلا ما كان منهم ناقلاً عن الإمام

المعصوم عليه السلام، كنص النواب الأربعة بعضهم على بعض.

وقد سبق منا في الحديث عن المرجعية المؤسساتية ما ينفع في المقام، لأنهما من باب واحد[1].

نعم، قد يترجح لبعض المراجع ترشيح شخص بعده للمرجعية، لتمامية ميزانه عنده وحسن التنويه عنه بنظره، كما حصل من الشيخ المعظم صاحب الجواهر (قدس سره)[2] بالإضافة للمحقق المقدس الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره)[3].

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: جواب السؤال الحادي عشر في الحلقة الأولى من المرجعية الدينية وقضايا أخرى.

(٢) الشيخ محمد حسن الشيخ باقر المعروف بصاحب الجواهر (١٢٠٢ ـ ١٢٦٦ هـ)، ولد ونبغ وتوفي في النجف الأشرف، تولى المرجعية في عصره، وكان من أكابر الفقهاء، من أشهر كتبه «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام»، «نجاة العبادة»، «هدية الناسكين».

لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ٤٣ : ٢٢٧، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٥ : ٢٧٥، روضات الجنات ٢ : ٣٠٤، ماضي النجف وحاضرها ٢ : ١٢٩، وغيرها.

(٣) الشيخ مرتضى الشيخ محمد أمين ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (١٢١٤ ـ ١٢٨١) من مجددي المدرسة⇐

لكنه لا يكون ملزماً. ولذا لم يلتزم بترشيح الشيخ صاحب الجواهر (قدس سره) كثير من الناس، فقد كان هناك جماعة من مراجع التقليد معاصرين للشيخ الأنصاري (قدس سره)، كالشيخ مهدي كاشف الغطاء[1]، والشيخ محسن

⇒ الفقهية الأصولية في جامعة النجف الأشرف الدينية، ومن أكابر محققيها، توفي في النجف الأشرف بعد أن تولى الزعامة الدينية في عهده.

من أشهر كتبه «المكاسب» و«فرائد الأصول»، «قاعدة لا ضرر ولا ضرار»، وعدد كثير.

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤٨: ٤٣، ماضي النجف وحاضرها ٢: ٤٧، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٦: ١٥٢، الأعلام ٨: ٥٨، وغيرها.

(١) الشيخ مهدي الشيخ علي كاشف الغطاء (١٢٢٦ - ١٢٨٩ هـ) من مراجع التقليد في عصره وكان أستاذاً مميزاً في الفقه والأصول وأديباً وشاعراً مجيداً، توفي في النجف الأشرف.

له من الكتب «الخيارات في شرح كتاب خيارات الشرايع»، «ديوان شعر» و«كتاب البيع»، وغيرها.

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤٨: ١٥١، الذريعة ⇐

خنفر[1]، والشيخ مشكور الحولاوي[2]، وغيرهم.

ولم يمنعهم ترشيح صاحب الجواهر(قدس سره) له من تصدّيهم للتقليد، كما لم يمنع الناس من تقليدهم.

على أنا لا نحبذ تكرار هذا الأمر بنحو التعاقب وإن كان بنحو الترشيح غير الملزم، لان ذلك قد يلتبس على

⇒ في تصانيف الشيعة ٧ : ٢٨٠، ماضي النجف وحاضرها ٢ : ٢٠٥، شعراء الغري ١٢ : ١٠٨، وغيرها.

(١) الشيخ محسن الشيخ محمد خنفر (١١٧٦-١٢٧٠ هـ) من مراجع التقليد في عصره، كان متخصصاً في تدريس الطب اليوناني، وعلوم الرياضة، والحكمة، وكان شاعراً. توفي في النجف الأشرف

من كتبه «مقامة النجاة»، كتابات في الفقه والأصول والكلام.

لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ٤٣ : ١٧٧، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢١ : ٣٨٦، ماضي النجف وحاضرها ٢ : ٢٥٩ وغيرها.

(٢) الشيخ مشكور محمد الحولاوي (١٢٠٩ - ١٢٧١ هـ) مجتهد مقلَد.

له من الكتب «مناسك الحج»، «رسالة في منجزات المريض» وغيرها.

لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ٤٧ : ١٢، ماضي النجف وحاضرها ٢ : ١١٧، معارف الرجال ٣ : ٦، وغيرها.

العامة فيتوهمونه ملزماً، ولا سيما إذا استغله ذوو المصالح، وفي ذلك تحريف للحكم الشرعي.

ولذا لا نستحسن الاستمرار على بعض الحلول الشخصية للمراجع العظام، حيث قد يكون لهيمنة الإكبار لهم والإعجاب بهم أثر في التباسها بالحكم الشرعي واختلاط الأمر على العامة.

س٣ هل تفضلون أن يجتمع عدد معتد به من أهل الخبرة ــ كطلاب البحث الخارج المشهود لهم بالفضل والورع ـ للتشاور كلما توفي مجتهد مقلد، كي يرشدوا الناس لمن يرونه أهلاً للتقليد، حفظاً لسلامة الخط أمام دعاوى غير المؤهلين، بدل أن يترك الناس في هذا الخضم المائج، فيسهل التأثير عليهم بوسائل شتى ؟

☑ الطرح المذكور يزيد في تعقد المشكلة إذا بقي على هذا النحو من الإطلاق والسيولة، لعدم انضباط مفرداته عند التطبيق، وذلك بملاحظة..

١ ـ أن العدد المعتد به قابل للزيادة والنقصان.

٢ ـ أن حضور البحث الخارج يتراوح بين المدة الطويلة والقصيرة.

٣ ـ كما يتراوح بين أفراد المدرسين الذين يكون الحضور عندهم معياراً في كون الشخص من أهل الخبرة، إذ لا ريب في أن كفاءة المدرّس قد يكون لها الأثر في الكفاءة العلمية للتلميذ.

٤ ـ وكذا يختلف باختلاف قابليات التلميذ الفكرية وجهده العلمي.

٥ ـ كما أن الشهادة للطالب بالفضل والورع، أمر غير منضبط من حيثية عدد الشهود، وكفاءاتهم العلمية والدينية التي تؤهلهم للشهادة، وتكون معياراً في قبول شهادتهم.

٦ ـ على أن المؤتمرين قد يختلفون في قناعاتهم، فتعود المشكلة ولا مرجّح شرعي غير القناعة الشخصية التي لا تنضبط.

ولا نذكر ما نذكره لحاجة وعناداً وتعجيزاً، بل أدنى ملاحظة لقوانين الانتخابات يشهد بأن هذا الطرح غير

صالح لتنظيم الأُمور، وأنه يفتح أبواب الخلاف والشقاق، وكثيراً ما تكون السيولة في بعض النقاط بوجه أخف من هذا مثاراً للخلاف والتحير الملزم بالرجوع للمحاكم القانونية من أجل رفع مشكلة الإجمال أو الفراغ التشريعي.

هذا مضافاً إلى أن القضية ترتبط بتحديد الموقف الشرعي، فإن أُريد بهذا الطرح الإلزام به توقف على الاستدلال له ولخصوصياته بأدلة شرعية مقنعة. وإذا أُريد رفع الخلاف فلابد من كون الأدلة من القوة والمتانة بحيث توجب وضوح الإلزام بهذا الطرح عند الكل وحصوله بالإجماع، ولا يُظَن بأحد القدرة على ذلك.

وإن لم يكن ملزِماً عاد الخلاف من جديد، إذ كما أمكن الرد على كثير من الشهادات الفردية الحاصلة الآن بالمعارضة بغيرها، أو بالتشكيك في كون الشهود من أهل الخبرة أو في واقعيتهم وصدقهم، وغير ذلك، يمكن التشنيع بذلك على الشهادة المجموعية التي يتكفلها هذا الطرح.

أما إذا أُريد التدقيق في هذه المواد وضبطها بحدود معينة، بنحو من الخلاف في تطبيقها، مع الإلزام بالنتائج

المتمخضة عنها بنحو لا شرعية لما يخرج عنها رجع هذا الطرح للمرجعية المؤسساتية التي سبق منا الحديث عنها مفصلاً.

وأما دعاوى غير المؤهلين فالنظرة الواقعية العملية تقتضي بأنها لابد منها، وأن تنظيم طرق الوصول للمرجعية يزيد من مشكلتها، كما يشهد به النظر لكثير من المؤسسات في العالم، بعد مقارنة نتائجها بالأهداف منها حين تأسيسها، ومقارنة النتائج حين أول تأسيسها بالنتائج المتأخرة.

وأهم شيء في التخفيف من مشكلة دعاوى غير المؤهلين، ومن الانحراف بجميع وجوهه، هو الإخلاص والواقعية في رعاية الموازين الشرعية، الذي نؤكد عليه دائماً وأكدت عليه التعاليم الدينية، والذي تتمتع المرجعية الدينية الشيعية بنسبة عالية منه بتوفيق الله تعالى وتسديده، ورعاية إمام العصر (عجل الله فرجه) الذي ينتفع الناس به في غيبته، كما ينتفعون بالشمس إذا جللها السحاب.

س٤ قد يختلف أهل الخبرة في تعيين المجتهد الأعلم، فيرشد بعضهم لتقليد مجتهد، ويرشد آخرون لتقليد مجتهد آخر، فما هو موقف الناس إزاء ذلك ؟

☑ إذا كان المراد السؤال عن الموقف الشخصي لكل إنسان من أجل خروجه عن عهدة التكليف الشرعي وبراءة ذمته منه فقد استوفت ذلك الرسائل العملية.

والذي نذهب إليه أنه مع اجتماع شرائط الحجية في كلا الطرفين المختلفين من أهل الخبرة يتعين سقوط كلتا الشهادتين عن الحجية، ورجوع الأمر إلى اشتباه الأعلم بين الأطراف الصالحة للتقليد. وحينئذ مع تمامية بقية شروط التقليد في الكل ـ وعمدتها الاجتهاد وقوة العدالة وشدة الورع ـ إن تيسر للمكلف الاحتياط بالعمل بأحوط القولين فاللازم عليه ذلك تحفظاً على الحكم الشرعي.

ومع صعوبته عليه ولزوم الحرج منه، فرحمة الله تعالى بالمؤمنين وسهولة الشريعة الحقة، تقضيان بتنازل الشارع الأقدس عن الاحتياط ـ الذي هو مقتضى الأصل

الأولي عند اشتباه الحجج ـ واكتفائه بتقليد أحد الأطراف مع تحري الأقرب فالأقرب مهما أمكن. وذلك يقتضي ترجيح مظنون الأعلمية.

ومع تساوي الاحتمال في الأطراف يترجح الأورع، لأنه الأوثق في التحفظ على الحكم الشرعي بعد عدم ثبوت أعلمية غيره منه.

ومع عدم المرجح المذكور فالمكلف مخير بين الأطراف المحتملة، فله تقليد أي طرف شاء.

واللازم على المكلف التثبت في جميع ذلك والتأكد منه، ولو بالاستعانة بأهل التقوى والمعرفة من أجل استيضاح الرؤية بالمقدار المستطاع، و ﴿ الإنسان على نفسه بصيرة﴾[1]، و﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[2].

وإذا كان المراد السؤال عن الموقف من هذا الاختلاف، من حيثية النظرة إليه والتعامل معه، فالموقف طبيعي جداً بعد كون الأعلمية من الأُمور الاجتهادية

---

(١) القيامة : ١٤.

(٢) البقرة : ٢٨٦.

الحدسية، التي من شأنها أن تختلف فيها الأنظار، وتتباين فيها وجهات النظر.

ويتعين التعامل معه بموضوعية وانفتاح، مع الاحترام المتبادل، بعد كون الأطراف معنية بالحقيقة، وهي في مقام أداء الأمانة، والخروج عن العهدة. ولا يفترض في الإنسان أن يلزم الآخرين بقناعاته.

وقد يحسن أن نذكر مثالاً عشناه، فقد كان المرحوم آية الله الحجة الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي (قدس سره)[1] مقتنعاً بالتخيير بين المرجعين العظيمين السيد محسن الحكيم (قدس سره)[2] والشيخ

---

(١) الشيخ محمد طاهر الشيخ عبد الله آل راضي (١٣٢٢ ـ ١٣٨٤ هـ)، من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، متكلم، وشاعر وأديب.

من تآليفه : «بداية الأصول في شرح كفاية الأصول»، «تعليقة على بعض مباحث المكاسب»، «ديوان شعر».

لمزيد من التفاصيل انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٣ : ١٤٧، شعراء الغري ٩ : ٤٣٧/ معارف الرجال ١ : ٣١٢ وغيرها.

(٢) السيد محسن السيد مهدي الحكيم (١٣٠٦ ـ ١٣٩٠ هـ)، تولى الزعامة الدينية في عهده، ولد وتوفي في النجف الأشرف، فقيه ضليع من ⇐

محمد رضا آل ياسين (قدس سره)[1]. وكان له جماعة

⇒ أكابر المحققين، قام بمشاريع دينية وثقافية كبيرة، وتصدى للشأن العام مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

من مؤلفاته : «مستمسك العروة الوثقى»، «حقائق الأصول»، «نهج الفقاهة» وغيرها كثير.

لمزيد من التفاصيل انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٤ : ٦٠، مقدمة كتاب دليل الناسك للسيد المترجم(قدس سره)تحقيق السيد محمد القاضي، الطبعة الثالثة، منشورات مدرسة دار الحكمة : ١ ، طبع مؤسسة المنار ، قم ، ١٩٩٥م ، وراجع كتاب : الإمام محسن الحكيم رسالة جامعية للكاتب عدنان إبراهيم السراج ، إشراف الدكتور وجيه الكوثراني ، دار الزهراء ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣ ، ماضي النجف وحاضرها ١ : ١١٩، معارف الرجال ٣ : ١٢١ وغيرها كثير.

(١) الشيخ محمد رضا الشيخ عبد الحسين الشيخ باقر (١٢٩٧ـ١٣٧٠هـ) من مراجع التقليد في النجف الأشرف أديب وشاعر.

من تآليفه : «بلغة الراغبين في فقه آل ياسين»، «حاشية العروة الوثقى»، «ديوان شعر».

لمزيد من التفاصيل انظر : الذريعة في تصانيف الشيعة ١٧ : ١٤٧، شعراء الغري ٨ : ٣٨٢، ماضي النجف وحاضرها ٣ : ٥٣٢ وغيرها.

يسترشدونه في خوزستان. فأخبرهم بقناعته، فاختاروا السيد الحكيم(قدس سره) وقلدوه، بينما اختار أهل بيته الشيخ آل ياسين(قدس سره) فقلدوه، وبقيت علاقته بجماعته وبالمرجعين المعظمين وبجماعتهما على أحسنها مع اطلاعهم على موقفه.

ومن قبل كان السيد الحكيم(قدس سره) يرشد للمرحوم الميرزا النائيني(قدس سره)[1] وأخوه الأكبر منه آية الله السيد محمود الحكيم(قدس سره)[2] يرشد

---

(١) الشيخ محمد حسين الشيخ عبد الرحيم النائيني (١٢٧٧ - ١٣٥٥ هـ) من أكابر مدرسي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومراجع التقليد فيها، أصولي مجدد وفيلسوف، من زعماء الثورة.

من مؤلفاته: «تنبيه الأُمَّة وتنزيه الملة»، «حاشية العروة الوثقى»، «رسالة في المعاني الحرفية» وغيرها.

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٢٦: ٢١٥/الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤: ٤٤٠/ ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٤ وغيرها.

(٢) السيد محمود السيد مهدي الحكيم (١٢٩٨ - ١٣٧٥ هـ)، من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومدرسيها الأفاضل، له تعليقات وحواشي على الكتب الدراسية في الفقه والأصول. ⇐

للمرحوم المرجع المعظم الشيخ علي نجل الشيخ باقر الجواهري (قدس سره)[1] كل منهما حسب قناعته، من دون أن يؤثر ذلك على علاقتهما الحميمة. ونظائر ذلك كثيرة في سلوك أهل الرشد والتقوى. وقد سبق في جواب السؤال العاشر من القسم الأول من هذا الحوار ما ينفع في المقام.

س٥ نلاحظ أن بعض المؤمنين يقلد مجتهداً غير مقلَّده في بعض المسائل تبعاً لسهولة فتوى هذا المجتهد فيها، فهل هذا جائز؟

⇒ لمزيد من التفاصيل انظر: معارف الرجال ٣ : ١٢٩، معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١ : ٤٢٣، وغيرها.

(١) من مراجع التقليد في النجف الأشرف، ومن أساتذة الفقه والأصول، توفي عام ١٣٤٠هـ وكان أديباً شاعراً.

من مؤلفاته: «حاشية العروة الوثقى».

لمزيد من التفاصيل انظر: ماضي النجف وحاضرها ٢ : ١٢٠، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١ : ٣٦٩، شعراء الغري ١٠ : ١٤١، وغيرها.

☑ لا يجوز ذلك. أما إذا كان مقلَّده الأصلي هو الأرجح في العلم والعدالة فظاهر، لان المرجوح ليس حجة بالفرض، وتختص الحجية بالأرجح، فكيف يجوز العدول عن الحجة لغير الحجة؟!

وأما مع التساوي بين المجتهدين وفقد المرجح بينهما فلما سبق من أن الأصل حينئذ يقتضي التحفظ والعمل بأحوط القولين، والتخيير إنما ساغ رفعاً للحرج، والمتيقن حينئذ التخيير بين مجموع الآراء لكل من الطرفين، فله أن يختار أحدهما في مجموع فتاواه الإلزامية والتخفيفية.

أما التخيير الكيفي باختيار المكلف ما يحلو له من مسائل كل منهما وما هو الأقرب لهواه ورغباته الشخصية، فلا يقين بجوازه. ولاسيما مع أن التخيير على الوجه الأول هو الأقرب في التحفظ على الحكم الشرعي والاحتياط له الذي هو اللازم الأولي.

بل لو فتح هذا الباب وأراد المكلف أن يختار الأخف من الفتاوى مع كثرة المجتهدين فقد يقطع بالتفريط بكثير من التكاليف وضياعها عليه.

س٦ ما هو نظركم حول انفتاح المرجعية الدينية والنشاط التبليغي الإسلامي على وسائل الاتصال الحديثة، مثل القنوات الفضائية، والإنترنت، مع ما يتطلبه من إمكانات تهيئة وجهاز إداري؟

☑ المرجعية والنشاط التبليغي بأمسّ الحاجة إلى وسائل الاتصال المذكورة من أجل توسيع رقعة العمل وتعميم الفائدة، خصوصاً مع تفرق المؤمنين في هذه الأيام وانتشارهم في بقاع الأرض وأطرافها، وإن استغلالهم لها في مواقعهم وانتفاعهم بها أيسر عليهم من الانتفاع بوسائل الاتصال القديمة. إذ تؤدي هذه الوسائل أعظم الخدمات وأنفعها.

وقد انفتحت المرجعية وسائر النشاطات الدينية من قبل ـ من دون تلكؤ ـ على الوسائل الحديثة، كل في وقته، كالطباعة، ووسائل النقل المختلفة، والكهرباء، والاتصال التلغرافي، والتليفوني وغيرها، وجنت منها أفضل الثمرات في إيضاح حقيقتها للعالم، وإسماع صوتها، وإيصال

دعوتها وإقامة حجتها.

ونحن مع كل جديد مثمر لا يتنافى مع تعاليم ديننا، ولا يضر بمُثُلِنا وأخلاقياتنا وكرامتنا[1]، قال الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[2]، وقال عز من قائل: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾[3].

نعم قد لا تسارع المرجعية لبعض هذه الوسائل لقصور مادي، أو إداري، أو لمحاذير مؤقتة، بسبب سوء استغلال هذه الوسائل، بحيث يخشى من أضرارها، أو تكون أضرارها أكثر من فوائدها، أو بحيث يوجب سوء سمعتها، بنحو تنافي قدسية الكيان المرجعي، التي لا ينبغي للمرجعية أن تتنازل عنها أو تفرّط فيها.

---

(١) لمكتب سماحته «دام ظله» موقع في (الإنترنت) فتح منذ عدة سنوات (www.alhakeem.com)، وهناك موقع للثقافة الإسلامية المتنوعة تحت رعاية مكتب سماحته باسم (الحكمة) (www.alhikmeh.com).

(٢) التوبة: ١٠٥

(٣) البقرة: ٢٩

وهو أمر يختلف باختلاف الإمكانيات والظروف واختلاف وجهات النظر، من دون أن يؤثر على النظرة الأولية الدينية للوسائل المذكورة.

س٧ نلاحظ في بعض البلدان والمجتمعات فجوة بين طلبة الحوزة العلمية والطلبة الجامعيين، فما هي توجيهاتكم لتلاحم هاتين الشريحتين وانسجامهما؟

☑ بعد أن تحللت كثير من العقد بين الطرفين، وأصبح التفاهم بينهما ميسوراً، فاللازم اهتمامهما معاً بالحوار والتنسيق وتبادل المعلومات، لما في ذلك من مكاسب ثقافية ودينية للطرفين، وللدين الحنيف الذي يجمعهما.

فطلبة الحوزة حينما ينفتحون على الطلبة الجامعيين يؤدون دوراً مهمّاً في أداء وظيفتهم وتبليغ رسالتهم، لأهمية الطلبة الجامعيين بعد كثرتهم عدداً، وارتفاع مستواهم الفكري والثقافي، وانفتاحهم على شريحة كبيرة

كما أن الطلبة الجامعيين حينما ينفتحون على طلبة الحوزة يتعرفون على دينهم، ويعيشونه في سلوكهم وممارساتهم، ويتسنى لهم أن يستثمروا معلوماتهم بما لا يتنافى معه.

كما يتيسر لهم نشره بين شريحة كبيرة من الناس من من ينفتحون عليه ويتعايشون معه، خصوصاً الأجيال الناشئة التي يقومون بتثقيفها وتربيتها. وبذلك يؤدون خدمة كبرى لدينهم العظيم، ويفوزون بأجر ذلك وعظيم ثوابه.

ولتكن من ثمرات هذا الانفتاح والحوار صياغة المفاهيم الإسلامية صياغة حديثة هادفة، تسهل تعميم طرحها عالمياً، والدعوة لها والتبشير بها، وبالإسلام العظيم، لهداية البشرية الضائعة، والمغمورة بالضلال والفتنة، والغارقة في المادة والتحلل. وبذلك يؤدون أعظم الخدمات لتعاليمنا الحقة، ولديننا الحنيف، وللبشرية التائهة، ويخرجون بذلك عن مسؤولياتهم الجسام بعون الله تعالى وتوفيقه ولطف عنايته ورعايته.

نعم، على الجميع أن يعرفوا عِظَم المسؤولية التي

يتحملونها أزاء دينهم وتعاليمهم، فاللازم عليهم مزيد من الاهتمام بأخذ المفاهيم الدينية من مصادرها الأصيلة، من الكتاب المجيد وأحاديث النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) بتفهم وتبصر مع الاستعانة بأهل العلم والاختصاص من ذوي التقوى والأمانة والورع .

وعليهم بعد ذلك عرضها بحدودها الحقيقية، وبأمانة وإخلاص، بعيداً عن التحريف والتحوير والتمييع، وتبنيها بفخر واعتزاز، وبمعنويات عالية، بعيدة عن الانهزام والخجل والاعتذار.

فقد قام كثير من الكتّاب والمتحدثين بعرض كثير من مفاهيم الإسلام وطروحاته ومعالجاته لمشاكل الحياة والإنسان بتشذيب وتحوير، بل مسخ وتشويه، لتتناسب مع المفاهيم المعاصرة التي تتبناها أو تدّعيها القوى العالمية الفاعلة.

بل قد يصل بهم الأمر إلى إنكار بعض المفاهيم الإسلامية، وتجريد الدين منها من أجل تنافرها مع القضايا المعاصرة. وهم يسيرون في ذلك باتجاهين..

المعاصرة. وهم يسيرون في ذلك باتجاهين..

(الأول): تبرير الطروحات المعاصرة، وبيان شرعيتها دينياً، في محاولة للدعوة إليها، وتمريرها في المجتمع الإسلامي.

(الثاني): بيان أن الإسلام دين الحضارة والتقدم وأنه يتناسب مع مفاهيم العصر بعيداً عن الرجعية والتخلف، بهدف الدعاية للإسلام والتنويه به.

والهدف الثاني وإن كان نبيلاً، إلا أنه لا يبرر تشويه الحقيقة وتحريف المفهوم الديني أو مسخه، فضلاً عن إنكاره.

ومن الظلم للحقيقة وللإسلام ـ الذي هو دين الله تعالى الخالد وكلمته الباقية ـ إخضاعه لمسلّمات الأوضاع المعاصرة التي تنامت في أحضان مجتمعات كافرة متحللة، وقد أُطلق كثير منها كشعارات فارغة براقة أُريد بها تلميع الوجه البشع لتلك المجتمعات من أجل تمرير مخططاتها المشبوهة، وتحقيق أطماعها الظالمة، من دون أن تنزل بجدّية للواقع العملي لتلك المجتمعات التي جنت منها البشرية ومن أوضاعها القائمة أفدح الخسائر في مُثُلها وأخلاقياتها،

وأشد المتاعب في تعايشها ومسيرتها.

والعرض المذكور لقضايا الإسلام ــ مهما كان الغرض منه ـ يكشف في الحقيقة عن الروح الانهزامية التي يحملها أولئك النفر أمام طروحات العصر، إما للانبهار بها، أو للتفاعل معها كحقيقة ثابتة لابد من الاعتراف بها، والاستسلام لها، والتعايش معها.

وإذا كان في بعض القضايا الإسلامية بعض الفجوات والمشاكل، فذلك إما أن يكون بسبب مألوفية قضايا العصر ومفاهيمه الموجب للتنفر من ما يخالفها وإن كان هو الأصلح والألصق بالواقع، أو بسبب سوء التنفيذ والتطبيق من المسلمين أنفسهم، أو من الظالمين الذين حالوا دون تطبيق قضايا الإسلام بأكملها، بما في ذلك ولاية الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم) فكان الإسلام العملي القائم على أرض الواقع مبتوراً غير متكامل، وكان نتيجة ذلك ظهور الفجوات والسلبيات، من دون نقص في قضايا الإسلام ومفاهيمه الشريفة المتكاملة، ولا مسؤولية على الإسلام من ذلك.

كما أنه لا يبرر تحوير تلك القضايا والمفاهيم ولا

إنكارها ومحاولة التنصل منها، بعد أن كانت حقاً من الدين الذي شرَّعه الله تعالى، وهو المالك المطلق للدنيا وما فيها، والعالم بالنظام الأكمل والأصلح لذلك كله.

س٨ ما هي أهم مميزات الحوزة العلمية والمرجعية الدينية الإسلامية الشيعية بالنسبة لباقي المؤسسات الدينية للأديان والمذاهب الأخرى ؟

☑ ترتكز مدرسة أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم على دعامتين متأصلتين في كيانها..

(الأُولى): الثقافة الحقيقية، والعلم النافع، المبني على قوة الحجة، ودقة الحساب والملاحظة، من أجل الوصول للحقيقة ومعرفة الوظيفة الشرعية، حيث عُرِفوا بذلك هم عليهم السلام وشيعتهم من العصور الأُولى، وتميزوا به عن غيرهم في تعاليمهم، واحتجاجاتهم، ومخاصماتهم، وأحاديثهم في مجالسهم وخطبهم وأشعارهم.

(الثانية): الإخلاص في طلب العلم والمعرفة، أداء للواجب وخروجاً عن العهدة، لا طلباً للدنيا ومن أجل

المناصب والمكاسب المادية أو المعنوية، لأنهم (صلوات الله عليهم) القمة في الإخلاص لله تعالى، والدعوة له والتذكير به . وشيعتهم يستضيئون بأنوارهم، وينظرون بمشكاتهم، ويتكامل كيانهم بفيض بركاتهم وقدس نفحاتهم. كل ذلك في ظل عنايتهم ورعايتهم عليهم السلام .

وقد استمرّت هذه المدرسة بهاتين الدعامتين بعد الغيبة متمثلة بالحوزات العلمية الشيعية.

ولا يعني ذلك عدم وجود الدخيل والغث فيها، فإن ذلك أمر طبيعي بعد غياب العصمة، وإنما نريد بذلك أن الإطار العام للحوزات لا يخرج عن هاتين الدعامتين ببركة أهل البيت عليهم السلام وبرعاية قائمهم (عجل الله تعالى فرجه)، بحيث يعتبر الخارج عنهما خارجاً عن مقتضى الطبيعة الأولية للحوزات، وعما هو المفترض فيها والمنتظر منها.

ومن أجل ذلك تبتني العلاقة بين عموم المؤمنين والحوزات على الروحانية والتقديس، وحتى صار للمرجع الديني في نفوس المؤمنين مكانة سامية ترتفع إلى مستوى تمثيل الإمام عليه السلام الذي هو مثال القدسية الأكمل.

وقد ساعد على بقاء هاتين الظاهرتين تركيبة الحوزة

وعلاقاتها بالناس، فإنها..

(أولاً): لا تتقيد بنظام رسمي في تحديد مراحل الدراسة، بل كل شخص يعمل بقناعاته وقابلياته في إطار الحوزة العام، بحرية تامة وحسب القدرات المتاحة له،من دون أن يتقيد بجدول زمني خاص، ولا بأستاذ خاص، ولا بغير ذلك، حيث يتيسر له بذلك استغلال وقابلياته وملكاته على أتم وجه، كما يقتضيه الواجب الشرعي في تحقيق الحق، للخروج عن عهدة التكاليف الإلهية المقدسة، وبراءة الذمة منها.

(وثانياً): تفقد السلطة القاهرة التي تتحكم في قبول الأشخاص في الحوزة، وفي تشخيص من يبلغ المراحل المتعاقبة فيها من المرحلة الأُولى حتى المرجعية العظمى، بل لكل أحد الدخول في الحوزة، والمعيار في أهليته لها ومرحلته فيها ـ دينياً وعلمياً ـ على القناعات الفردية للناس، نتيجة الاحتكاك بالشخص وتقييم الأشخاص الموثوقين له، في علمه ودينه، وقابليته الشخصية في الظهور على الساحة، وفرض نفسه على الناس، والتحكم في قناعتهم المبنية في الإطار العام على الواقعية والإخلاص،

من دون نظام محدد لذلك.

(وثالثاً): تستقل مادياً عن الدولة وعن غيرها من ذوي النفوذ، بل تعتمد بوجه عام على الحقوق الشرعية التي يدفعها المؤمنون بوجه طوعي قياماً بالتكليف الشرعي من دون قيد ولا شرط ولا نظام يتيسر التحكم فيه.

وقد كان لهذه الأُمور ــ بعد تسديد الله تعالى ورعاية صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه) ــ أعظم الأثر في محافظة الحوزات على بهائها وقدسيتها، وعلى تكامل العلم وتطوره وعمقه فيها.

وكان فيها علماء بالمستويات العليا في العلم والتحقيق والعمق، وفي الإفادة والإنتاج، ولهم أعظم الأثر في رفع المستوى العلمي في الحوزات، والصعود به في طريق النضوج والتكامل. كما كانوا على جانب عظيم من الدين والورع والتقوى والمثالية والنفع، وبهذا ملكوا قلوب المؤمنين، وصاروا موضع فخرهم واعتزازهم.

وبذلك كله قام للحوزات كيانها المستقل، وكان لها تحركها المؤثر، وصوتها المدوي، الذي قد يُخنَق وقد ينطلق، تبعاً لاختلاف الظروف والملابسات.

وكان من الصعب بل المتعذر على القوى الفاعلة في الساحة النفوذ لها والسيطرة عليها لحرفها عن مسارها، وصرفها عن أهدافها، وما يستتبع ذلك من اكتفائها في طلب العلم الديني وتحديد الرتب بالسطحية والشكليات الرسمية، من أجل المراتب الوهمية على حساب الحقيقة، ولو بالالتفاف على الأنظمة وتطويعها بوجه غير مشروع، كما تبتلى بذلك عامة المؤسسات الرسمية، خصوصاً في الفئات المغلوبة على أمرها.

وقد امتازت الحوزات الشيعية بذلك عن المؤسسات الدينية لباقي المذاهب والأديان. كما يظهر ذلك بأدنى مقارنة وملاحظة، ولا حاجة لتفصيل الكلام في ذلك بعد ظهوره للعيان.

نعم، لا يخلو نظام الحوزات المذكور من سلبيات مهمة مؤلمة..

(منها): هدر كثير من القابليات نتيجة الحرية المذكورة وفقد النظام، حيث قد لا يؤدي الكثير واجبهم، ولا يستفرغون قدراتهم في طلب العلم أو في التدريس أو في التبليغ، كسلاً أو ضجراً، من دون قوى تردعهم عن

ذلك.

(ومنها): ضياع بعض المؤهلين، لعدم تيسر ظهورهم على الساحة، بعد فقد المعايير الدقيقة والحدية لتقييم الأشخاص.

(ومنها): حرمان كثير من ذوي الكفاءات من حقوقهم المادية والمعنوية التي يستحقونها بسبب كفاءاتهم، لصعوبة تمييزهم عن غيرهم بعد فقد طرق التقييم الرسمية.

(ومنها): فتح باب الدعاوى غير المسؤولة والتصدي لغير المؤهلين.

غير أن ذلك كله لا يعادل المكاسب العظيمة التي حصلت عليها الحوزة الشريفة على الأمد الطويل في قيامها وإنتاجها وثباتها واستقلاليتها وتأثيرها، فإن ضياع بعض الحقيقة أهون من ضياعها بأجمعها، ووقوع بعض الظلم عليها أهون من اكتساح الظلم لها.

على أنه يمكن تجنب كثير من السلبيات أو التخفيف منها بتركيز الجانب الديني في داخل الحوزة وعند المؤمنين الذين يتعاملون معها، لان الوازع الديني يمنع من كثير من التجاوزات، ويحفظ الحقوق لأهلها، ويحث على أداء

الواجب ـ في طلب العلم وبذله، وفي التبليغ الديني ـ بالوجه الأكمل.

ومن ثَمَّ كان التركيز على هذا الجانب من أهم الواجبات.

وقد قال الله تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[1].

كما أن ذلك قد جرّ على الحوزات في الأدوار المختلفة المتاعب والمصاعب التي قد تبلغ حدّ المآسي والفجائع، إذ ليس من السهل على القوى الفاعلة استقلالية الحوزات، من دون أن تنفذ إليها وتسيطر عليها أو تنسق معها. مع ما عليه الحوزات من تأثير فاعل في المجتمع.

ولا يزال الصراع قائماً ولا ينتظر له نهاية. ومن الله سبحانه وتعالى العون والتسديد، إنه أرحم الراحمين، وولي المؤمنين، وخير الناصرين.

---

(١) الذاريات : ٥٥.

س٩ سجلت الحوزة العلمية والمرجعية الدينية متابعة جادة لرصد حركة المجتمع ومواجهة التيارات الفكرية الإلحادية والمنحرفة، فهل تعتبرونها موفقة في هذا المجال؟

☑ التوفيق في هذا المجال وغيره من المجالات أمر نسبي يخضع للظروف والملابسات الكثيرة.

وإن من أهم الأسباب في انحسار التيارات الفكرية الإلحادية والمنحرفة عن الإسلام عامة، والتشيع خاصة قوة الدين والمذهب، وأصالتهما وعقلانيتهما، مما يوجب تجذرهما في أعماق الإنسان عقلياً وعاطفياً، وقبوله دعوتهما، واستجابته لهما بطبيعته الأولية.

وأقوى شاهد على ذلك في هذه العصور أن المسيحية التي هي أقوى دين بعد الإسلام، كانت قد غمرت الغرب وحكمته قرونها الطويلة، وقد نبعت في أوساطها الدعوة العلمانية المتحللة باتجاهاتها المختلفة، ونشطت لها وقارعتها حتى انهارت المسيحية واستسلمت لها، ولم يبق منها إلا أسماء خالية وصوراً جوفاء تتعايش مع العلمانية ولا حول

لها ولا قوة بها إلى يومنا هذا.

بل صارت المسيحية بقوتها التبشيرية واجهة للاستعمار الغربي العلماني، وأداة لنفوذه وتثبيته في الشعوب المستضعفة.

حتى إذا استكملت العلمانية الغربية قوتها توجهت للبلاد الإسلامية، وهي في منتهى ضعفها، فاكتسحتها بقوتها العسكرية الهائلة وبتكنلوجيتها ومكتشفاتها الجبارة وبشعاراتها البراقة في الحرية والعدالة وحفظ حقوق الإنسان وغيرها، لتقضي على الإسلام في مهده وتقتلعه من مغرسه.

وقد نجحت فعلاً في اكتساح البلاد، والنفوذ فيها عسكرياً وسياسياً حتى الآن، إلا أن صراعها مع الإسلام باء بالفشل، وقام الإسلام على قدميه كعقيدة أصيلة متجذرة. وقد فرض نفسه عالمياً حتى أثار قوى الشرّ، فهي تحسب له حسابها وتعد له عدتها، ولم ينحسر الإسلام في البلاد التي دخلها إلا في بلاد الأندلس، لضعف الإسلام الذي حلّ فيها، لأنه أموي النزعة والتطبيق، منقطع عن منابعه الصافية بسبب بعد البلاد المذكورة عن عواصم

الإسلام، ولقسوة الهجمة التي اكتسحته وشراستها وطول مدتها، ولأنها جاءت في دور وهن المسلمين. على أنه بلغنا وجود بقية له هناك، حبذا لو يتيسر تقصّيها لمعرفة واقعها وحجمها.

ومثل هذا يجري في التشيع حيث بقي متماسكاً مع عنف الهجمات التي تعرض لها في تاريخه الطويل وقوتها وقسوتها، بل ازداد ـ رغم ذلك كله ـ قوة وصلابة ونشاطاً وتوسعاً، وفرض نفسه على الساحة العالمية. كل ذلك لقوة دعوته وتناسقها ومنطقيتها، وخلوّها عن المفارقات والتناقضات وسيطرتها على العقل والعاطفة.

وبالنظرة الموضوعية المنصفة يتضح أن بقاء الإسلام إنما هو ببقاء التشيع، لأنه الإسلام الحقيقي المتكامل المتوثب، ذو القلب الحي النابض، والعقل المتفتح الناضج، والفكر الصافي الخالي عن شوائب الأوهام والخرافات، وعن المفارقات والسلبيات، والصوت المدوي بالحق والعدل ورفض الباطل والظلم.

ولذا تحزبت عليه قوى الشر وأعداء الإسلام، وأعدت له عدتها لتقضي على الإسلام باسمه، ولو

بالاستعانة ببعض الفئات المنتحلة للإسلام التي سبق لها أن استعانت بها لإضعاف الإسلام أو القضاء عليه.

وتبدوا أهمية الحوزات العلمية وموفقيتها في إصلاح المجتمع فكرياً من بقاء التشيع على نقائه وصفائه، ووحدته وتكامله في عصر الغيبة الطويل، حيث يغيب القرار المركزي المعصوم، وحيث يتاح لكل أحد أن يقول ما يريد، إذ من شأن الدين ـ بعقيدته وسلوكياته ـ حينئذ أن يتعرض للاجتهادات والتخرصات ولمحاولات التحريف والتحوير من الداخل، وللمواجهات الفكرية والضغوط من الخارج، من ما قد يضطره لتناسي بعض حقائقه، وتجاهلها والتغاضي عنها.

غير أن التشيع بعناية الله ورعاية إمام العصر (عجل الله فرجه) وبجهود علمائه العاملين بقي متماسكاً هذه المدة الطويلة من دون أن ينحرف عن خطه المعهود. وإن كان قد تعرض لكثير من المشاكل والفتن الداخلية.

فقد تعرض في العصور القريبة للخلاف الحادَ بين الأُصوليين والإخباريين، الذي كاد يقضي على وحدته، إلا أن الفتنة لم تلبث أن هدأت، وحاول أهل الرشد

والتقوى من الطرفين بتحكيم العقل والميزان الشرعي من أجل تمييع الخلاف، والتركيز على الأصول المشتركة، وجمع الشمل ورتق الفتق، حتى عادت الوحدة بين أهل الحق، ولم يبق للتعصب وجود يذكر.

ثم تعرض لمشكلة الشيخية، ثم الكشفية، ثم البابية، ثم البهائية، في فتن متلاحقة لم تلبث أن انحسرت، ورجع الكثير إلى دينهم وعقائدهم الحقة وانضموا تحت لواء التشيع وفي كيانه العام، وانعزل المتشبثون بتلك الأفكار في فئات، بعضها خرج عن الإسلام رأساً، لأنه لم يجد له منفذاً في الدين، وبعضها بقي تحت رايته معلناً دعوته في قلة قليلة غير معتد بها معزولة عن الكيان الشيعي العام لا تؤثر على مسيرته ونشاطه. كل ذلك بفضل قوة التشيع وجهود الحوزات الشريفة وعلمائها العاملين.

وبمقارنة سريعة مع بعض المذاهب والأديان الأخرى تتضح ميزة التشيع في ذلك، وقوته المذهلة.

فالوهابية فرقة نشأت في العصور القريبة لتشق وحدة المسلمين وتفرّق كلمتهم. وقد كان لها الدور المهم في إضعافهم وإضعاف الخلافة الإسلامية السنية، وفي التمهيد

لنفوذ الأجانب في البلاد الإسلامية.

وحتى أوائل القرن الماضي قبيل الحرب العالمية الاولى كانت بنظر المسلمين عموماً هي الفرقة المبدعة الخارجة المفسدة في الأرض المنتهكة للحرمات، حتى إذ استتبت لها الأمور في أواسط القرن الماضي الهجري بدعم ظاهر من المستعمر الكافر خفت صوت التسنن ضدها، وتعايش معها، وفرضت نفسها عليه، ثم نشطت، وإذا هي الآن الأقوى مادياً، والأعلى صوتاً، بل قد تكون اليوم هي الناطق الأظهر باسم التسنن، لما تملكه من قوى مادية هائلة ودعم خارجي غير محدود لا يخفى على المتبصر. ولم يقو التسنن على إنهائها ولا على تحجيمها عقيدياً وفكرياً.

وهذه المسيحية الكاثوليكية قد استحدث فيها المذهب البروتستانتي باسم الإصلاح في القرن السادس عشر الميلادي، وثبت المذهب المذكور واستحكم ونشط، وصار لكنائسه كيان ونشاط قوي ينافس الكنائس الكاثوليكية، ويقف في وجهها، ولم تقو الكاثوليكية على استيعاب الخلاف وتمييعه، ولا على تحجيمه، بحيث ينحصر في فئة قليلة غير معتد بها تعتبر شاذة عن الكيان العام، نظير

الفئات المشار إليها آنفاً في التشيع.

هذا بالإضافة إلى الفتن والانشقاقات الداخلية.

وأما بالإضافة إلى الأفكار الوافدة الخارجة عن الدين، فقد تعرض التشيع والإسلام عموماً للهجمة التبشيرية المدعومة من المستعمر الغربي الكافر، وكان نصيبها الفشل الذريع، كما اعترفوا بذلك حتى قالوا: إن محاولة جعل المسلم مسيحياً غير عملية. ولكن علينا أن نسلخ المسلم عن الإسلام، بدفعه للتحلل والفساد، والاستهوان بالدين، فكفانا ذلك مكسباً ونجاحاً.

ونشطت الدعوة لذلك في أوائل اكتساح الغرب المسيحي لبلاد الإسلام ونفوذه فيها.

وليس ذلك ــ لو تهيأ لهم ــ في الحقيقة مكسباً للمسيحية، بل هو انهزام لها، وانتصار لقوى الاستعمار العلماني التي أرادت أن تستغلها لتحقيق مصالحها وأطماعها في بلاد الإسلام.

فليعرف المسلمون عظمة دينهم وحقه وواقعيته. وليشكروا الله سبحانه على نعمة هدايته لهم بطاعته واتباع تعاليمه والبخوع لها.

وعلى كل حال فقد كان للحوزات الشريفة والمرجعية الدينية أعظم الأثر في فشل الحملة التبشيرية المذكورة بتوفيق الله تعالى وعنايته ورعاية إمام العصر (عجل الله فرجه) وبركات وجوده الشريف.

كما تعرَّض التشيع في العصر القريب ـ كغيره من المذاهب والأديان السماوية ـ في عصورنا للمدّ الإلحادي الذي أفرزته الحضارة المعاصرة، فغمر العالم ونشط، ولاسيما بعد أن أصبح مدعوماً من إحدى القوتين العظمتين اللتين انفردتا بالسيطرة على العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وسرت موجته في البلاد الشيعية، وسائر البلاد الإسلامية وقد تصدت الحوزات العلمية له، وكان لها وللمراجع العظام (قدس الله أسرارهم) الدور المشرف في الوقوف بوجهه والحدّ منه بتصميم وإصرار، حتى انكفأ الإلحاد منهزماً هزيمة منكرة، ووثب المؤمنون لدينهم معتزين به ذائدين عنه.

وكان الفارق واضحاً بين فاعلية الحوزات العلمية والمرجعية الشيعية وفاعلية غيرها من المؤسسات الدينية الأخرى لبقية المذاهب الإسلامية وبقية الأديان.

وقد أدرك ذلك المعنيون بالأمور، فاضطروا ـ حينما تهددت مصالحهم ـ لفسح المجال للحوزات الشيعية، لتتمتع بقسط من الحرية وتزاول نشاطها في ذلك العهد. حتى أن الوضع الطائفي في الأفغان والحكم الجاري عليه كان يمارس الضغط الشديد على الشيعة عموماً، وعلى رجال الدين منهم خصوصاً.

فلما بدأت الشيوعية تتغلغل في بلاد الأفغان وتنشط فيها نتيجة سوء الأوضاع وتردّيها اضطرت الحكومة الأفغانية في حينه للتخفيف من حدة الضغط على الشيعة وفسحوا المجال لرجال الدين والحوزات الشيعية في أفغانستان ليمارسوا نشاطهم الديني والتبليغي من أجل أن يقفوا في وجه المدّ الشيوعي والإلحادي، لأنهم يتميزون بفكر وثقافة تؤهلهم لذلك لا يملكهما غيرهم من الهيآت الدينية المتنفذة في البلاد.

وها هو التشيع اليوم بحوزاته وعلمائه وفكره وثقافته ثابت القدمين، وربما إليه ينظر الحديث الشريف : « يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث

الحديد »[1] . تحسب له قوى الشر حسابه، وتحاول تفتيته بالفتن من الداخل، وحرفه عن مساره السليم في الفكر والعقيدة، لتصب عليه نقمتها من الخارج، لتصده وتضعفه وتشغله بمصائبه ومحنه عن الوقوف في طريقها، وتتبع عوراتها، والإنكار عليها، والحدّ من نشاطها.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعضده ويثبته بالقول الثابت، ويسدد الحوزات الدينية للسير في الطريق المستقيم، والثبات عليه، ويوفق المؤمنين للالتفاف حولها من أجل الوقوف بوجه الانحراف وصدّه، والحفاظ على ثوابت التشيع وحدوده وتعاليمه، تصديقاً لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في أحاديث كثيرة من أنه لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم خذلان من خذلهم[2].

حيث لا يراد بظهورهم إلا ظهور حجتهم وسماع دعوتهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن

---

(١) وسائل الشيعة ١٨ / ١٠٩.

(٢) تجد هذه الأحاديث بألسنة متقاربة في عوالي اللآلي ٦٢/٤، وصحيح مسلم ٥٢/٦، ومستدرك الحاكم ٤٤٩/٤، وسنن الدارمي٢١٣/٢، وغيرها.

بينة﴾[1].

ونعوذ بالله تعالى من مضلات الفتن، والنكوص على الأعقاب، وشر المنقلب، ومن خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وهو أرحم الراحمين، وولي المؤمنين. وهو القائل في كتابه المجيد ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[2]

س١٠ للمرجعية تاريخ عريق في مقارعة الاستعمار الأجنبي الدخيل، فهل يمكننا أن نتعرف على نماذج تفصيلية من تلك المواقف؟

☑ مقارعة المرجعية الشيعية للاستعمار الأجنبي امتداد لموقف مبدئي عام للتشيع أصرّ عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام في سلوكهم وتعاليمهم يقضي بتناسي الخلاف بين المسلمين عند تعرّض الإسلام للخطر، والتوجه للعدو

---

(١) الأنفال : ٤٢.

(٢) إبراهيم :٢٧.

المشترك، حفظاً لكيان الإسلام العام، ودفاعاً عن بيضته، لان الإسلام قبل الإيمان، ولا يعرف الإيمان ولا يصل له الإنسان إلا بعد معرفة الإسلام والوصول إليه.

وبدأ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حينما جانب الظالمين واعتزلهم ورفض الدخول في أمرهم ولم يبايع، ولما تعرض الإسلام للخطر اضطر للدخول في أمرهم حفاظاً عليه.

قال عليه السلام: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم، التي هي متاع أيام قلائل، ويزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[1].

---

(١) نهج البلاغة : ٥٤٧، من كتابه عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها.

أما الأئمة عليهم السلام من بعده فهم في الوقت الذي منعوا فيه من الجهاد مع سلاطين الجور ـ لعدم مراعاتهم الميزان الشرعي في الجهاد، وخروجهم عنه، ولأن في الجهاد معهم دعماً لهم ـ أمروا بالقتال دفاعاً عن بيضة الإسلام.

ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «يرابط ولا يقاتل، وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه، ليس للسلطان، لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد صلى الله عليه وآله»[1].

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام قال: «على المسلم أن يمنع نفسه، ويقاتل عن حكم الله وحكم رسوله، وأما أن يقاتل الكفار عن حكم الجور وسنتهم فلا يحل له ذلك»[2].

وقد جرى مراجعنا العظام وعلماؤنا الأعلام على ذلك قياماً بالواجب، وتبعاً لأئمتنا عليهم السلام وجرياً على تعاليمهم.

---

(١) وسائل الشيعة ج : ١١ باب : ٦ من أبواب جهاد العدو حديث : ٢.
(٢) المصدر السابق ، حديث : ٣ .

وقد كلّفهم القيام بهذا الواجب شططاً، فهم في الوقت الذي يتجنبون الحكومات الظالمة ويشجبونها، وفي الوقت الذي تقف منهم تلك الحكومات، ومن المؤمنين الذين يرجعون إليهم ويسترشدون بإرشادهم، أشد المواقف، ظلماً وعدواناً وتجاهلاً وامتهاناً، تراهم مضطرين بحكم الواجب الملقى على عواتقهم إلى الوقوف مع تلك الحكومات ودعمها في جهاد العدو الكافر، فإن نجحوا لم يُشكَروا، وإن فشلوا ـ ولو بسبب تصرف تلك الحكومات وسوء تدبيرها ـ تحملوا تبعة الفشل، وربما انتصر العدو فشفى منهم غيظه، وانتقم لموقفهم منه. ولا عزاء لهم إلا رضا الله تعالى، والخروج عن تكليفه والحفاظ على دينه القويم وصراطه المستقيم. وكفى به شاهداً ونصيراً.

وإن تصدي علمائنا الأعلام للأجنبي ذو وجوه وألوان يجمعها القيام بالواجب في مجانبة الكافر، وعدم الركون إليه، والوقوف بوجهه ومنعه من الإضرار بالإسلام حسبما تتيحه الظروف وتسعه الطاقة..

(الأول): التصدي الفكري

وقد جهد علماؤنا الأعلام ومراجعنا العظام

(رضوان الله تعالى عليهم) ـ بأنفسهم أو بدفع العناصر الحوزوية ـ في إيضاح الحقائق الدينية، وردّ شبهات الكفر والضلال، سواءً ما كان نابعاً من بلاد الإسلام، أم ما كان وارداً من الأجنبي الكافر.

ويتجلى ذلك في هذه العصور بموقفهم من الحملة التبشيرية الكافرة في مطلع القرن السابق، وكان المجلّي في ذلك العلم المجاهد الحجة آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي(قدس سره)[1] صاحب المؤلفات القيمة.

وفي وقوفهم أواخر القرن المذكور من المدّ الشيوعي الإلحادي، كما سبق بعض الحديث عن ذلك في جواب السؤال السابق.

---

(١) الشيخ محمد جواد الشيخ حسن البلاغي (١٢٨٠ ـ ١٣٥٢ هـ) مجتهد من مجتهدي حوزة النجف الأشرف العلمية الدينية، ضليع بالعقائد، ملم ببعض اللغات الأجنبية... شاعر.

من مؤلفاته: «آلاء الرحمن في تفسير القرآن»، «الهدى إلى دين المصطفى»، «الرحلة المدرسية».

لمزيد من التفاصيل انظر : الكنى والألقاب ٢ : ٩٤، شعراء الغري ٣: ٤٤٣ ، أعيان الشيعة ١٧ : ٦٨، وغيرها.

(الثاني): التصدي العسكري

وقد ظهر في العصور القريبة حين ضعفت الحكومات الإسلامية ونشط الكافر لغزو بلاد الإسلام، فكان موقف المسلمين حكومات وشعوباً موقف المدافع، وقد كان للعلماء الدور المهم في ذلك في مناسبات عديدة..

١ ـ في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، حين هاجم الروس بلاد إيران، فخرج علماء إيران ـ ولعل أظهرهم آنذاك الشيخ أحمد النراقي(قدس سره)[1] صاحب المستند ـ مع المجاهدين لصدّهم، وقد دعمهم المرحوم السيد محمد المجاهد بن السيد صاحب

---

(١) الشيخ أحمد الشيخ محمد مهدي النراقي (١١٨٥ ـ ١٢٤٥ هـ) من مراجع التقليد في إيران، أكمل دراسته في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ثم هاجر إلى إيران فأصبح مرجع التقليد فيها.

من مؤلفاته : «مستند الشيعة في أحكام الشريعة»، «مناهج الوصول في علم الأصول»، «ديوان شعر» بالفارسية .

لمزيد من التفاصيل انظر: الأعلام ١: ٢٤٥، ريحانة الأدب ٦ : ١٦٠، الفوائد الرجالية ١ : ٦٧، وغيرها.

الرياض(قدس سرهما)[1]، فشد الرحال من كربلاء بمن معه والتحق بهم، فأبلوا بلاء حسناً وكان النصر حليفهم، لولا الخيانات وسوء التدبير، مما أوجب انكسارهم واحتلال الروس بلاد أذربايجان وغيرها في واقعة مشهورة.

وتجرعوا غصص الانكسار، وردود فعل الأوباش والجهلة.

٢ ـ وفي أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر حين هاجم الروس بلاد إيران أيضاً، واحتلوا بعض المواضع منها، وهاجمت إيطاليا طرابلس الغرب، أفتى

---

(١) السيد محمد السيد علي الطباطبائي (حدود سنة ١١٨٠ ـ ١٢٤٢ هـ) من مجتهدي الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة، لقب بالمجاهد بعد خروجه لمحاربة الجيش الروسي المعتدي، وحين فشل الجيش القاجاري في تحقق الانتصار لخيانة في قواده مرض السيد المجاهد في قزوين. وتوفي إثر ذلك ونقل جثمانه إلى كربلاء المقدسة بعد ذلك ليدفن فيها.

من تآليفه : «المناهل في فقه آل ياسين»، «مفاتيح الأصول»، وغيرهما.

لمزيد من التفاصيل انظر : روضات الجنات ٧ : ١٤٥ ، والموسوعة الفقهية الميسرة ١ : ٥٨٩، وغيرهما.

علماؤنا ــ ومنهم المرجع الشهير السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (قدس سره) ـ بوجوب توحيد الكلمة لدفع العدو عن بلاد الإسلام.

٣ – وفي إيران تهيأ للجهاد المرحوم الآخوند آية الله الشيخ محمد كاظم الخراساني(قدس سره)[1] مع جماعة من علماء عصره، وأعد عدة السفر لإيران. لكنه توفي فجأة بوجه مريب، فانحل ما أبرمه، ولله أمر هو بالغه.

٤ ــ وحينما غزت الجيوش البريطانية العراق في حربها مع العثمانيين الذين رأى الشيعة وعلماؤهم منهم الامرّين ظلماً وعسفاً وتجاهلاً واستهواناً، حتى إنهم لم

---

(١) الشيخ محمد كاظم ابن الملا حسين الآخوند الخراساني (١٢٥٥ ــ ١٣٢٩ هـ) تولى المرجعية الدينية في عصره في النجف الأشرف، أصولي ضليع.

من مؤلفاته : «كفاية الأصول»، «حاشية الأسفار»، «حاشية فرائد الأصول» وغيرها كثير.

لمزيد من التفاصيل انظر: معجم المؤلفين العراقيين٣:٢٢٧، ماضي النجف وحاضرها ١ : ٦٣٦، أعيان الشيعة ٤٣ : ٩٢ وغيرها. وراجع : كتاب الاخوند الخراساني للأستاذ عبد الرحيم محمد علي. النجف.

يعترفوا بالمذهب الجعفري، وكانوا يفرضون عليهم في القضاء وغيره فقه المذهب الحنفي الذي تبنته دولتهم وفرضته بقواتها، وكان أهل العلم من الشيعة لا يعفون من الخدمة العسكرية ـ مهم بلغوا من العلم والمعرفة ـ حتى يؤدوا الامتحان على طبق مناهجهم المبنية على الفقه الحنفي.

مع كل ذلك تناسى علماؤنا الأعلام (رفع الله درجاتهم) ذلك كله، واندفعوا للقيام بواجبهم في حفظ بيضة الإسلام، والدفاع عنه، فخرجوا للجهاد في جبهتين:

أ ـ جبهة الشعيبة.

ب ـ جبهة الكوت.

وخرج منهم السيد محمد سعيد الحبوبي[1]

---

(١) السيد محمد سعيد السيد محمود الحبوبي (١٢٦٦ ـ ١٣٣٣ هـ) مجتهد كبير من مجتهدي النجف الأشرف، وشاعر بارع من أساطين الشعر العربي المشهورين، ومن أبطال الجهاد والنضال، له كتابات في الفقه والأصول، وديوان شعر.

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤٥ : ١٥٩، الاعلام ٧: ١٤، نقباء البشر ٢ : ٨١٤، وغيرها.

ـ ستصحباً معه سيدنا الجد السيد الحكيم[1] في شبابه ـ وشيخ الشريعة الأصفهاني[2] والسيد علي الداماد[3]

---

(١) انظر ص ٢٨ هامش ٢.

(٢) الشيخ فتح الله الشيخ محمد جواد الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة (١٢٦٦ ـ ١٣٣٩ هـ) من كبار مجتهدي حوزة النجف الأشرف، برع في الأصول والعلوم العقلية والرياضيات، مجاهد، نهض فتولى الزعامة والقيادة ضد الإنگليز بعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي، ولما دخل الانجليز النجف الأشرف تفرق الناس عنه ولبث في بيته إلى أن توفي.

من مؤلفاته : «قاعدة لا ضرر»، «قاعدة الواحد البسيط لا يصدر منه إلا واحد»، «القول الصراح في أحوال الصحاح»، وغيرها.

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤٢ : ٢٥٧، معارف الرجال ٢ : ١٥٤، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢ : ٧٦٧، وغيرها.

(٣) هو السيد علي السيد محمد الداماد (١٢٧٥ ـ ١٣٣٦ هـ) من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، مجاهد أبلى في ساحات الجهاد بلاءً حسناً، وعاد بعد النكسة بألم شديد لمدينة النجف الأشرف، وحين حلّقت طائرة بريطانية للاستكشاف في سماء النجف الأشرف وسمع صوتها حزن وشهق شهقة أسىً فمات . ⇐

والسيد أبو القاسم الكاشاني[1] والسيد مهدي الحيدري[2]

⇒ من مؤلفاته : «تقريرات الأصول»، «مصباح الظلام في شرائع الإسلام».

لمزيد من التفاصيل انظر : نقباء البشر ٤ : ١٥٢٥، أعيان الشيعة ٨ : ٣١١، معجم المؤلفين ٧ : ٢١٨، وغيرها .

(١) السيد أبو القاسم السيد مصطفى الكاشاني (ما قبل ١٣٠٠ - ١٣٨١ هـ) من كبار رجال الدين المجاهدين في العراق انتخبته جماهير بغداد والكاظمية مع عدد من المجاهدين الآخرين لمفاوضة السلطات المحتلة في المسائل السياسية المهمة. اشترك مع العلماء الأعلام الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد هبة الدين الشهرستاني وغيرها في قيادة العمليات الجهادية في جبهة الحلة وطويريج وكان لبطولاته وخطبه ومواقفه دور مشهود في حث الناس على القتال ، والتصدي للغزاة في هذه الجبهة . تتبعه الانجليز بعد الاحتلال فهرب إلى إيران وفيها توفي.

له تقريرات في الفقه أصول الفقه.

لمزيد من التفاصيل انظر : نقباء البشر ١ : ٧٥ ، والبطولة في ثورة العشرين ١٤١ : ٢١٨، وغيرها.

(٢) السيد مهدي السيد أحمد الحيدري المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ من مراجع التقليد المجاهدين في مدينة الكاظمية المقدسة. خرج مع العلماء الأعلام صحبة أولاده الثلاثة لتحريض أهالي بغداد والمدن الأخرى والقبائل على الثورة وقيادتها للجهاد، شهد معارك ⇐

والشيخ مهدي الخالصي[1]... وجماعة كثيرون (قدس الله أرواحهم الزكية)[2].

⇒ القرنة والشعيبة والكوت وهو ابن الثمانين.

من مؤلفاته : «تعليقة على فرائد الأصول»، كتاب في الرجال، كتاب في الطهارة.

لمزيد من التفاصيل انظر : مستدركات أعيان الشيعة ٢ : ٣٣٣، والإمام الثائر مهدي الحيدري للسيد أحمد الحسيني،النجف ١٣٨٦ هـ .

(١) الشيخ مهدي الشيخ محمد حسين الخالصي (١٢٧٦ - ١٣٤٣ هـ) من مراجع التقليد المجاهدين في الكاظمية المقدسة، حارب الإنجليز مع العلماء ثم عاد ليفضح السياسيين فنفي إلى الحجاز ومنها إلى إيران وتوفي غريباً.

من مؤلفاته : «الشريعة السمحاء»، «القواعد الفقهية»، «كتاب في الرجال» .

لمزيد من التفاصيل انظر : أحسن الوديعة ٢ : ١٢٢، أعيان الشيعة ٤٨ : ١٦٢، ريحانة الادب ٢ : ١١٦ ،وغيرها.

(٢) أمثال الشيخ عبد الكريم الجزائري، والجد المرحوم السيد محمد سعيد الحكيم، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والشيخ جواد الجواهري، والشيخ رحوم الظالمي، والسيد عبد الرزاق الحلو، والشيخ باقر حيدر، والشيخ جعفر الشيخ راضي، وغيرهم.

وقد أرسل العلمان المعظمان السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (قدس سره)[1] والشيخ محمد تقي الشيرازي(قدس سره)[2]ولديهما السيد

---

(١) السيد محمد كاظم السيد عبد العظيم اليزدي (١٢٤٧ ـ ١٣٣٧ هـ) تولى زعامة الحوزة العلمية في النجف الأشرف تضلع في الفقه والأصول.

من مؤلفاته : «العروة الوثقى»، «اجتماع الأمر والنهي»، «الاستصحاب» وغيرها.

لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ٤٦ : ٢٠٦، ريحانة الأدب ٦ : ٣٩١، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣ : ١٣٥٨، وغيرها.

(٢) الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي الشيرازي (١٢٧٠ ـ ١٣٣٨ هـ) من مراجع التقليد المعروفين في حوزتي كربلاء المقدسة والنجف الأشرف العلمية الدينية، أديب، شاعر، مجاهد، صلب، قاد الثورة العراقية ضد الانجليز وأوقد شرارتها الاولى.

من مؤلفاته : «شرح مكاسب الشيخ الأنصاري»، «العقائد الفاخرة في مدح العقيدة الطاهرة»، «رسالة في أحكام الخلل» وغيرها .

لمزيد من التفاصيل انظر : نقباء البشر ١ : ٢٦١، الأعلام ٦ : ٢٨٨، أعيان الشيعة ٤٤ : ١٢١، وغيرها.

محمد[1] والشيخ محمد رضا[2] دعماً لهم.

---

(١) السيد محمد السيد محمد كاظم اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ من أساتذة الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية الدينية. مجاهد ضد الانجليز.

من مؤلفاته : «كتاب الحج»، «الكشكول»، «رسالة في فضل الكتب واقتنائها» .

لمزيد من التفاصيل انظر : ماضي النجف وحاضرها ١ : ١٦٠، والذريعة ١٦ : ٢٧٢، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣ : ١٣٥٩، وغيرها.

(٢) أكبر أنجال مفجر شرارة الثورة العراقية.كان له دور مشهود في حث الناس على الجهاد ضد الانجليز . دعا إلى إقامة احتفال ضخم في صحني الإمام الحسين والعباس عليهما السلام في كربلاء المقدسة شارك فيه الألوف من المتظاهرين المنددين بالاحتلال وحث فيه الناس على المقاومة وأرسل الكتب والرسائل إلى شتى مناطق العراق يدعو فيها إلى الثورة والجهاد.

جاهد ضد الإنجليز في جبهة القرنة . ألقي عليه القبض من قبل المحتلين في كربلاء ، ونفي إلى الهند ، وكان لاعتقاله وابعاده اثر كبير في تأجيج نار الثورة ضد المحتلين في شتى المناطق.

لمزيد من التفاصيل انظر:البطولة في ثورة العشرين :١٥٢، وغيره.

وقد عرضت الحكومة العثمانية على بعضهم - فيما بلغنا - الأموال الطائلة ليستعينوا بها في الحرب فأبوا قبولها أنفة وعزة وبعداً عن شائبة تخرج جهادهم عن الإخلاص لله تعالى في أداء الواجب، حتى ذكروا أن السيد الحبوبي(قدس سره) كان يكتفي بأكل التمر طعاماً والجلوس على الأرض.

ووقعت الحرب وظهرت الخيانات من الجيش التركي ومن كثير من ذوي النفوذ مما أدّى إلى فشل الحملة في جبهة الشعيبة، وتراجع العلماء الذين مضوا لها بمن بقي معهم، وهم مطمئنون لأداء واجبهم، حتى قال السيد الحبوبي(قدس سره)[1] في الناصرية بعد رجوعه: (الحمد لله الذي عرّفني تكليفي).

إلا أن الألم يحز في نفوسهم حين يرون انتصار الكفر على الإسلام، ودخول العدو في بلاد المسلمين يعيثون فيها فساداً، حتى قضى الحزن على بعضهم، كالسيد الحبوبي(قدس سره) حيث مرض، ثم توفى في

---

(١) انظر : ص ٦٥ هامش ١.

الناصرية، وأُرجع إلى النجف الأشرف جنازة محمولة. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما جبهة الكوت فقد انتصرت، إلا أن النصر لم يدم طويلاً. فقد استرجعت بريطانيا ما خسرته فيها بعد أن اضطربت أمور العثمانيين في العراق، وتم بعد ذلك لبريطانيا احتلال العراق وانسحاب العثمانيين منه.

٥ ـ ولما بسطت بريطانيا نفوذها على العراق واحتلته لم يمكث علماؤنا (رضوان الله تعالى عليهم) طويلاً حتى طالبوها بالوفاء بوعودها بتحرير العراق واستقلاله، ولما تجاهلت ذلك فجَروا ضدها الثورة المعروفة بثورة العشرين[1]، بقيادة المرجع المعظم آية الله الشيخ محمد تقي

---

(١) ثورة العشرين : من أهم الثورات الوطنية في تاريخ العراق الحديث أشعل أُوارها علماء الدين الأجلاء عام ١٩٢٠م ضد الاحتلال الإنجليزي للعراق وقادوها باذلين في ذلك الغالي والرخيص دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

وقد توزع المجاهدون بقيادة العلماء الأعلام على جبهات القتال كلها فكبدوا المعتدين الغزاة الكثير الكثير.

لقد خسر الإنجليز ـ كما يقول السياسيون البريطانيون ـ ⇐

⇒ وعلى مدى خمسة شهور ما بين الأول من تموز حتى أواخر تشرين الثاني ١٩٢٠م (قتيلاً) في كل (أربع ساعات) و(١٦) مفقوداً في (كل يوم) عدا الجرحى، وأنفقوا (٢٦٦) ألف باون استرليني في كل (٢٤) ساعة كما يقول فليب ايرلند في كتابه (العراق ـ دراسة في تطوره السياسي : ٢٦٦).

أما من ناحية السياسة فيقول ناجي شوكت : « في اعتقادنا أنه لولا هذه الثورة العراقية الكبرى لما استطاع العراق أن يحصل حتى ولا على شبه استقلال، ولا كان من الممكن أن يدخل عضواً في عصبة الأمم، إلى جانب الدول العظمى التي كانت تتمتع بهذه العضوية، فالعراق الذي أصبح أول دولة عربية مستقلة واحتل مقامه بين دول العالم. في الوقت الذي لم يكن هناك أي بلد عربي يحلم بالاستقلال إنما هو مدين لثورته الكبرى هذه» (الذكريات: ٥٦) .

ويقول مؤرخ معاصر إن هؤلاء الفقهاء وزعماء الفرات الأوسط وقادة الحركة الوطنية في بغداد هم مؤسسو العراق الحديث وليست الأسماء السياسية المتداولة.

لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ، المستدركات ، القسم الثاني : ٣٣٣ ـ ٣٣٦ حيث روى تفاصيل المعارك ، وبيّن أدوار العلماء المجاهدين(قدس سره) فيها عن شهود عيان. ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي وغيرها كثير.

الشيرازي(قدس سره)[1] الذي لم يلبث طويلاً حتى توفي، فخلفه في قيادتها المرحوم شيخ الشريعة الأصفهاني(قدس سره)[2].

وبعد الجهد والاجتهاد والثبات على المبادئ ـ التي لم يثبت عليها إلا القليل ـ تلاشت الثورة، بعد أن أدّوا ما عليهم، وتحملوا تبعاته، حيث حوصروا، وأُخيفوا، واُحتجزوا، وشرّدوا عن أوطانهم، وأُوذوا في سبيل الله تعالى كثيراً. كل ذلك وقوفاً عند المبادئ وأداء الواجب الذي يرونه.

٦ ــ ولم يكتفوا بذلك، بل لمّا شكلت الحكومة (الوطنية) في العراق في ظل الهيمنة البريطانية، ونودي بفيصل الأول ملكاً، لم يلبث علماؤنا أن طالبوا بشروط تحفظ للإسلام والمسلمين بقية من كرامتهم، ولا تعجب بريطانيا والسائرين في ركابها، وأصروا على تلك الشروط بعد أن رفضت وخولفت، وحرّموا الاشتراك في الاستفتاء

---

(١) انظر ص ٦٩ هامش ٢.

(٢) انظر ص ٦٦ هامش ٢.

الشعبي، وثبتوا على مواقفهم في تفاصيل يطول ذكرها.

وقد وقفت الحكومة ـ التي يفترض أن تكون وطنية ـ في وقته منهم موقفاً قاسياً، فنفت المرحوم الشيخ مهدي الخالصي(قدس سره)[1] من علماء الكاظمية وشرَدته عن وطنه.

وتضامن معه علماء النجف الأشرف، فقد هدد المرجعان الشهيران الشيخ ميرزا محمد حسين النائيني[2] والسيد أبو الحسن الأصفهاني(قدس سرهما)[3] بالسفر إن لم يرجع لوطنه، فلم تستجب الحكومة لهما، ولم ترجعه، بل سفَرتهما مع جماعة كبيرة من العلماء وأهل العلم إلى

---

(١) انظر ص ٦٨ هامش ١.

(٢) انظر ص ٣٠ هامش ١.

(٣) السيد أبو الحسن السيد محمد الأصفهاني (١٢٨٤ ـ ١٣٦٥ هـ) تولى المرجعية الدينية في عصره، دعم المؤسسات المهتمة بالتثقيف الديني ورعاها.

من مؤلفاته : «صراط النجاة»، «حاشية العروة الوثقى»، «وسيلة النجاة» .

لمزيد من التفاصيل انظر : نقباء البشر ١ : ٤١، معارف الرجال ١ : ٤٦، أعيان الشيعة ٥٢ : ٤٧، وغيرها.

إيران، وألحقتهم به في جوَ متوتر، ليخلو لها الجوَ وتتجنب ضغوطهم، وليضعف الوجود الديني في العراق، وتفرغ الساحة للنشاط التبشيري، وللدعوة اللادينية، كي ينسلخ الناس عن دينهم ويبقى العدوَ ـ وهو الاستعمار الجاثم ـ في مأمن منه.

في مخطط محبوك يعَم إيران وتركيا والعراق وجميع بلاد الإسلام، لتجريدها من بقية الدين، الذي يقضّ مضاجع الكافرين والمنافقين السائرين في ركابهم، ويقف حجر عثرة في طريقهم، كما أدرك ذلك بعض علمائنا الأعلام(قدس الله أرواحهم).

فقد حدثني العلامة السيد أحمد جمال الهاشمي عن أبيه آية الله المرجع الديني السيد جمال(قدس سره)[1]، وقد كان من أعيان تلامذة الميرزا النائيني(قدس

---

(١) السيد جمال السيد حسين الكلبايكاني (١٢٩٥ ـ ١٣٧٧ هـ) من مراجع التقليد في النجف الأشرف ومن أساتذة الفقه والأصول فيها، ولد في قرية (سعيد آباد)، وتوفي في النجف الأشرف.
من تآليفه : «الاجتهاد والتقليد»، «جواز البقاء على تقليد الميت»، «ذخيرة العباد ليوم المعاد»، وغيرها. ⇐

سره)[1] ومن من سافر معه من حاشيته حينئذ، قال: لما سافر العلماء إلى إيران استقبلهم الشعب الإيراني وعلماؤه استقبالاً حاراً حاشداً، واحتفّوا بهم وعظّموهم ورفعوا شأنهم.

فلما رأى المرحوم الميرزا النائيني(قدس سره) اهتمام الشعب الإيراني بهم والتفافه حولهم قال للعلماء: إنا نستطيع بما رأيناه من اندفاع الشعب لنا أن نصلح الأوضاع في إيران.

فقال له المرحوم المرجع آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري (قدس سره)[2] : «إنا نستقبل جبالاً من بلاء،

⇒ لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ١٦ : ٢٥٢ ، معارف الرجال ١ : ٢٨٥ ، ونقباء البشر ١ : ٣٠٩، وغيرها.

(١) انظر : ص٣٠ هامش ١.

(٢) الشيخ عبد الكريم ابن المولى محمد جعفر الحائري (١٢٧٦ - ١٣٥٥ هـ) مؤسس الحوزة العلمية الحالية في قم. أشرف على تعليم طلاب الحوزة العلمية وأغدق عليهم بسخاء ووضع الامتحان السنوي لقياس مستوياتهم، أدار أمور المرجعية بحكمة وكياسة في زمن متعب.

من مؤلفاته : «درر الأصول» و«كتاب الصلاة» ⇐

وليس لنا إلا الهدوء والاستسلام والحفاظ على البقية الباقية حتى ينجلي هذا البلاء المقبل، وننظر ما يكون».

وكأنه(قدس سره) كان ينظر بنور الله تعالى، فقد صدقت نبوءته، حيث انتهى الأمر بحكم رضا بهلوي لإيران، فأحرق الأخضر واليابس، وحاول اقتلاع الدين من جذوره في محنة مأساوية وقعت على العلماء والمؤمنين. ولله أمر هو بالغه.

وبنحو ذلك نظر من بقي في النجف الأشرف من رجال الدين وأهل العلم العاملين، فوجدوا الفراغ هائلاً بسفر العلماء وأدركوا خطورة الأمر وعواقبه الوخيمة، ورأوا ضرورة رجوع العلماء إلى مراكزهم، ليجددوا للحوزة نشاطها، ويشيدوا كيانها، ويحافظوا على البقية الباقية من الدين، بعد أن عجزوا عن إصلاح جهاز الحكم. فجدّوا في العمل لرجوعهم.

⇒ و«التقريرات».

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٨: ٤٢، نقباء البشر ٣: ١١٥٨، الموسوعة الفقهية الميسرة ١: ٥٧٢.

ومن من تبنى ذلك واندفع في العمل له المرحوم الحجة مثال الورع والتقوى آية الله الشيخ باقر القاموسي(قدس سره)[1] ـ كما حدثني بذلك مفصلاً ولده الحجة المقدس الشيخ صادق القاموسي(دامت بركاته)[2]ـ وكان كثير العلائق مسموع الكلمة مبجلاً معظماً داخل الحوزة وخارجها.

وقد خالفه بعض ذوي الشأن، فكان يرى أن في رجوعهم من دون استجابة لمطالبهم وهناً عليهم.

غير أنه(قدس سره) أصر على رجوعهم بعد

---

(١) (ت ١٣٥٢ هـ) من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف وأساتذة التدريس فيها، كان زاهداً ورعاً أبياً عابداً حسن الخلق.

لمزيد من التفاصيل انظر : معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣ : ٩٦٩، وغيره.

(٢) من العلماء الأفاضل عرف بالورع والتقوى وحسن الخلق. شاعر مبدع. له تعليقات وحواشي على الكتب الفقهية والأصولية، وديوان شعر.

لمزيد من التفاصيل انظر : ماضي النجف وحاضرها ٢ : ٣٨٩، معارف الرجال ٢ : ٢٠٠ ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣ : ٩٦٨، وغيرها .

أن استوضح ضرورة التشبث بالميسور من الوظيفة، والتغاضي عن سلبياته، فعمل لذلك جاداً بما له من العلاقة مع الوسائط من ذوي النفوذ.

وبالآخرة تمّ له ولمن معه ما أرادوا، ورجع العلماء الأعلام ومن معهم إلى العراق، وأشغلوا مراكزهم وانصرفوا إلى الاهتمام الحوزوي، بعيداً عن الاحتكاك بالمسؤولين. ولعلهم كانوا مسدَّدين في ذلك، حيث صارت حوزات العراق بعد ذلك مفزعاً لمن فرّ من قسوة الحكم البهلوي، الذي صبّ نقمته على العلماء وأهل العلم في مواقف مأساوية فجيعة يطول شرحها.

فكانت تلك الحوزات ملجأ لمن سلم منهم، وتيسر له الخروج من إيران. وقد كانت الحوزات المذكورة مفروضة نسبياً على الحكومة الإيرانية تحسب لها حسابها.

كما استوعبت حوزة قم المقدسة الكثير أيضاً بزعامة المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي(قدس سره)[1] الذي عالج الأمور بصبر وحكمة عجيبين.

---

(١) انظر : ص ٧٧ هامش ٢ .

وقويت حوزات العراق وقم، وتجمع فيها الكثير من أهل العلم ذوي المستويات العالية، حتى إذا انفرجت الاُمور في إيران، وتحسنت الأوضاع في العراق، كانت تلك الحوزات كنز الدين الثمين، وكهفه المنيع، ودرعه الحصينة، ولسانه المبين.

فقامت بالدعوة لله تعالى، وترويج شرعه المقدس، وأدت الخدمات الجليلة للإسلام والمؤمنين بقيادة علمائها الأعلام (قدس الله أرواحهم)، وجزاهم خير جزاء المحسنين ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾[1]، وهو ولي المؤمنين، وخير الناصرين ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾[2].

وهكذا أدّت الحوزات الشريفة والمرجعية الدينية دورها المشرف في التصدي للأجنبي الكافر، ومحاولة إحباط مخططاته الجهنمية ومشاريعه الظالمة في العراق وإيران.

---

(١) الروم : ٤.

(٢) البقرة : ٢١٦.

أما في تركيا فقد تم له ما أراد، حيث لا يسمع فيها للحوزات والمرجعية الدينية الشيعية صوت، ولا ينالها نفوذهما، وانقلبت تركيا من دولة تحمل راية الإسلام، ومركز للخلافة الإسلامية المفترض حمايتها له، إلى دولة علمانية تعادي الإسلام وتقف في وجهه، وتمد يد الاستجداء بذلة للغرب الكافر العلماني المتحلل.

وحتى الذين لم يتصدوا لذلك ولأمثاله ــ من محاولات التغيير نحو الأصلح ـ من علماء الدين ومراجع الشيعة لم يتقاعسوا خنوعاً وخوفاً، ولا خيانة للأمانة، ولا تهاوناً بالواجب، بل كانت لهم وجهة نظرهم الخاصة، حيث كانوا يرون قوة العدو المواجه، وضعف القوى المادية التي كانوا يملكونها، وقلة ذوي البصائر الثابتين على المبادئ، وكثرة المدسوسين والمشبوهين وضعاف النفوس وذوي الأطماع، الذين يخشى أن يسيطروا على التحرك الإصلاحي، أو يجروه بالآخرة لصالحهم وتحقيق أطماعهم، ويتنكروا للمبادئ والأسس التي قام عليها، واندفع عنها.

كما تكرر نظير ذلك على امتداد التاريخ. كل ذلك

منعهم من التصدي للعدو، والتحرك في مواجهته.

فالمرجع الكبير آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي(قدس سره)[1] قد امتنع من مقارعة بريطانيا والاشتراك في الثورة عليها بعد أن فشل هو وغيره في صدّها ومنعها عن دخول العراق، وبعد أن تمّ لها السيطرة عليه عسكرياً ونفوذها فيه، لقناعته بعدم الجدوى في ذلك، نظير رأي المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي(قدس سره)[2] بعد أن خاض تجربة الجهاد، فقد سبق أنه بعد أن رجع للناصرية قال: «الحمد لله الذي عرّفني تكليفي».

وكذلك كان رأي السيد اليزدي(قدس سره)[3] من قبل حينما امتنع من الدخول في الدعوة للدستور الإيراني، تلك الدعوة التي عرفت بالمشروطة، فقد كان يعتقد أن ما يخطط له الداعون لذلك من الإصلاح لا يتم لهم.

وكان يقول فيما بلغنا: «إذا كان الشاه المستبد ذئباً

---

(١) انظر : ص ٦٩ هامش ١.

(٢) انظر : ص ٦٥ هامش ١.

(٣) انظر : ص ٦٩ هامش ١.

واحداً فنحن سوف نقع بأيدي سبعين ذئباً. وإن الناس الذين نراهم معنا مندفعين نحونا سوف يتركوننا لوحدنا لو تهددت مصالحهم».

ولكل وجهة نظره، ومن حقّه الاحتفاظ بها، والعمل عليها. و﴿الإنسان على نفسه بصيرة﴾[1]. وإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

والرقيب هو الله سبحانه وتعالى، ومنه التوفيق والتسديد.

٧ ـ وقد وقف المرحوم آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين(قدس سره)[2] في لبنان من الفرنسيين بعد

---

(١) القيامة : ١٤ .

(٢) السيد عبد الحسين السيد يوسف شرف الدين(١٢٩٠ ـ ١٣٧٧ هـ) من مراجع التقليد المجاهدين في لبنان ومن الزعماء الوطنيين الكبار، له موافق مشهودة في المجالات العلمية والدينية والسياسية والثقافية، جاهد ضد الفرنسيين في لبنان وناظر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر في (المراجعات).

من مؤلفاته : «المراجعات»، «النص والاجتهاد» و «الفصول المهمة» وقد ترجمت إلى عدة لغات، وله كثير غيرها.

لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ٧ : ٤٥٧، ومعجم⇐

الحرب العالمية الاولى نظير الموقف الذي وقفه المراجع والعلماء في العراق من بريطانيا في ثورة العشرين وما تبعها من أحداث.

وقد أدى ذلك إلى تعرضه لانتقام الفرنسيين، فحكم عليه بالإعدام، وهوجم بيته، وأُحرقت مكتبته، واُنتهكت حرمته وحرمة المؤمنين معه، وفرَ هارباً منهم بنفسه إلى فلسطين، حيث لم يكن للفرنسيين سلطان عليها، بل كانت حينئذ تحت الانتداب البريطاني.

٨ ـ كما كان للمرحوم آية الله السيد أبي القاسم الكاشاني(قدس سره)[1] المواقف المشهورة في إيران ضدَ

⇒ رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢ : ٧٣٦، وغيرها كثير.

وراجع : كتاب رائد الفكر الاسلامي السيد عبد الحسين شرف الدين للدكتور هادي فضل الله مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٨٧م ، ومقدمتي كتاب النص والاجتهاد للسيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد صادق الصدر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٦٦م.

(١) انظر : ص ٦٧ هامش ١.

النفوذ البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت ثمرتها تأميم النفط الإيراني، بعد أن كان امتيازه للشركة البريطانية، وما استتبع من أحداث وتطورات تغني شهرتها عن التعرض لها.

وهذان الموقفان وإن لم تباشرهما المرجعيات الدينية القائمة في وقتهما، إلا أنهما يشاركان المواقف التي باشرتها المرجعيات في الدوافع والأهداف الشرعية. على أن الأول يشغل واجهة المرجعية في مركزه.

٩ ـ وكان للعلماء الأعلام والمرجعية الدينية المواقف المتلاحقة ضد التغلغل الصهيوني وقيام كيانه ودولته في فلسطين. وتبدأ تلك المواقف بسفر المرحوم آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء(قدس سره)[1] للقدس من

---

(١) الشيخ محمد حسين الشيخ علي كاشف الغطاء (١٢٩٤ ـ ١٣٧٣ هـ) من أعلام ورجال الحوزة العلمية في عصره ومن فرسان الفصاحة والبيان ، ولد ونبغ وتوفي في النجف الأشرف ، جاهد ضد الإنجليز أثناء غزوه العراق ، شارك في المؤتمرات العربية الإسلامية ونشر أبحاثه ومقالاته وأشعاره في أمهات الصحف العربية . له مكتبة نفيسة عامرة . ⇐

أجل المشاركة في المؤتمر الإسلامي الذي عقد فيها في أواسط القرن الرابع عشر الهجري. وكان سفره من المرجعية الدينية آنذاك ودعم من العلماء الأعلام.

حتى أن المرحوم الميرزا النائيني(قدس سره)[1] قد خرج مشيعاً له إلى خارج النجف الأشرف، وسيدنا الجد السيد الحكيم(قدس سره)[2] قد شيعه إلى بغداد. ولما رجع احتفت النجف الأشرف واحتفلت بقدومه. وتلا ذلك البيانات والفتاوى والاستنكارات والنشاطات حتى أيامنا هذه، وكل ذلك معلوم مشهور بنحو يغني عن إطالة الكلام فيه.

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد.

⇒ من مؤلفاته : «أصل الشيعة وأصولها» ، «تحرير المجلة»، «المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون» وغيرها كثير .

لمزيد من التفاصيل انظر: الأعلام ٦: ٣٣٩، وأحسن الوديعة ٢: ١٠٧ ، ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣ : ١٠٤٩ .

(١) انظر : ص ٣٠ هامش ١.

(٢) انظر : ص ٢٨ هامش ٢.

(الثالث): التصدي السلبي

الذي تميزت به هذه الطائفة في جميع أدوارها تبعاً لنهي الله تعالى عن الركون إلى الظالمين، ولتعاليم أئمتها عليهم السلام النابعة من ذلك. فإن كثيراً من الفئات تتعامل مع الوضع القائم على أساس الاعتراف بالأمر الواقع، ولو بضميمة الشكليات التي تضمن شرعيته عندهم.

أما هذه الطائفة فقد حرّمت فقهياً إعانة الظالمين والركون إليهم، حتى عدّا من الكبائر. ولو طبّق المؤمنون عموماً ذلك وجروا عليه لكان لهم شأن آخر. ولا يسعنا إطالة الكلام في هذا الأمر.

غير أن المرجعية الدينية للشيعة قد جرت عليه وتميزت الحوزات الشريفة عموماً به، فكان لها كيانها المستقل على ما سبق في جواب السؤال التاسع[1].

وإذا كان هذا موقفها من الحكومات الإسلامية وهي تعيش في ظلها فلابد أن يكون موقفها من الأجنبي الكافر ــ الذي يحاول النفوذ في بلاد الإسلام والتحكم في

---

(١) انظر ص ٤٧.

مقدراتها وقوانينها ـ أصلب وأشد. وقد بدا ذلك واضحاً في العصور القريبة حين بدأ الأجنبي يتسلل لبلاد الإسلام ويحاول النفوذ فيها. وهناك عدة من الوقائع يحسن إثباتها..

(منها): قصة التنباك الشهيرة[1]

فقد أعطت حكومة إيران لبريطانيا امتياز التنباك. وقد أدرك السيد الشيرازي الكبير(قدس سره)[2] خطورة

---

(١) اتفق ناصر الدين شاه مع شركة إنجليزية على احتكار التبغ الإيراني وذلك بأن تتولى الشركة الأجنبية زراعة التبغ وبيعه وتقديره لمدة خمسين عاماً ابتداءً من سنة ١٨٩٠م.

قد أثرت الاتفاقية تأثيراً سيئاً على التجارة الداخلية والسوق المحلية فاندلعت على أثر ذلك انتفاضة شعبية في إيران عام ١٨٩٠م بقيادة العلماء الأعلام وقد أرسل السيد الشيرازي(قدس سره)رسائل عديدة لشاه آسران يطالبه فيها بالنزول عند إرادة الجماهير فلم تلق تلك الرسائل آذاناً صاغية ، مما أضطر السيد الشيرازي(قدس سره) إلى إصدار فتواه الشهيرة بتحريم التدخين فامتنع الإيرانيون عن التدخين . حتى أن نساء قصر الشاه كسرن آلات التدخين في القصر الملكي مما أضطر معه الشاه إلى الرضوخ للامة وإلغاء الاتفاقية وتعويض الشركة عن خسارتها .

(٢) السيد محمد حسن السيد محمود الشيرازي (١٢٣٠ ـ ١٣١٢ هـ) تولى الزعامة الدينية في عهده، هاجر وهاجر معه جمع من أهل ⇐

هذا الأمر، وأنه مقدمة لنفوذها في إيران وتحكّمها فيها، ولحملة للتبشير والتحلل والاستهتار بالقيم توجه إليها.

كما حدث لها في كثير من البلاد، فأحبط ذلك بفتواه الشهيرة بتحريم التنباك، حيث وقفت تجارته وتعطل عملهم.

وقد حاولوا إقناعه بالعدول عن ذلك، ومنّوه بالكثير، لكنه(قدس سره) أصرّ على موقفه.

وآخر ما قاله لوفدهم الذي ذهب إليه في سامراء لإقناعه: «لو تملأون الدنيا لي ذهباً وفضةً لما عدلت عن

⇒العلم والفضل والورع إلى سامراء وفتح أبواب البحث والتدريس والعلم فيها، تصدى للشأن العام واهتم بالفقراء وأهل القرى والبوادي فكان يقدم لهم ما يحتاجون إليه من ألبسة وأطعمة في كل سنة مرتين، وكان له مجلس خاص ضم أهل الرأي والمشورة يعقد متى دعت الحاجة لمعالجة الشأن السياسي وتداعياته في بلدان المسلمين.

من مؤلفاته: «حاشية نجاة العباد»، «رسالة في اجتماع الأمر والنهي» وغيرها.

لمزيد من التفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٢٣: ٢٦٤ ، معارف الرجال ٢: ٢٣٣ ، الكنى والألقاب ٣: ٢٢٢، وغيرها كثير.

ذلك»[1].

وانتهى الأمر أخيراً بتنازلهم عن الامتياز المذكور وفشلهم في مخططهم.

(ومنها): الفتنة التي حدثت في عصر السيد المذكور في سامراء، وكان من حوادثها قتل ولده، وامتدت إلى بغداد وغيرها بما لها من عنف طائفي، وقد قيل إنها بدفع من الوالي العثماني في بغداد. وقد اشتدت بسبب تجاهل الوالي لها وتصامّه عن سماع شكوى العلماء، ومحاولته منع إعلام السلطان في (الاستانة) بها.

واشتد الأمر على السيد(قدس سره) وأهل العلم الذين في سامراء، وقد حاول السفير البريطاني التدخل في الموضوع ونصرة السيد(قدس سره)، وذهب إلى سامراء لعرض خدماته عليه، وطلب الإذن بالدخول عليه، فلم يأذن له وأنف من الشكوى له حفظاً لكرامة الإسلام والمسلمين، إباءً منه لتدخل الأجانب في أمرهم.

فرجع السفير خائباً، حتى إذا وصل الخبر عما

---

(١) معارف الرجال ٢ : ٢٣٥ .

حدث للسلطان في الاستانة تدخل لإيقاف العدوان وإطفاء الفتنة، وكفى الله المؤمنين[1].

(ومنها): أن خيرية (أودة) الهندية ـ التي هي خيرية شيعية مخصصة من صاحبها لأهل العلم والفقراء في العتبات المقدسة ـ كانت تنفق عن طريق المراجع، حتى أن الشيخ الأنصاري(قدس سره)[2] في عصره قد تولى إنفاقها.

إلا أنه لما بدأت بريطانيا التي كان لها حكم الهند، تحاول النفوذ في البلاد، وخيف من استغلالها لذلك توجست منها المرجعية وتنزهت عنها. حتى أنها عرضت على المرحوم المرجع الشهير المقدس الشيخ محمد طه نجف(قدس سره)[3] فقال للرسول بعد الاستعاذة

---

(١) معارف الرجال ٢ : ٢٣٥ .

(٢) انظر : ص ١٩ هامش ٣.

(٣) الشيخ محمد طه الشيخ مهدي نجف (١٢٤١ ـ ١٣٢٣ هـ) من مراجع التقليد في عصره ولد وتوفي في النجف الأشرف وجمع بين الفقه والأصول والرجال والأدب والشعر .
من آثاره (اتقاك المقال) ، (الفرائد الأصولية) ، (مناسك الحج) وغيرها . ⇐

والبسملة: ﴿قل يا أيها الكافرون ❖ لا أعبد ما تعبدون﴾

فقال له الرسول : أنا مسلم.

فأجاب: نعم، ولكنك آلة الكافر[1].

وبقيت النظرة إليها بريبة وتنزه، حتى أنه عرض منها مبلغ محترم على سيدنا الجد السيد الحكيم(قدس سره)[2] قبل مرجعيته بما أنه من أفضل مصارفها ـ وكان في ضائقة مالية شديدة ــ فلم تطاوعه نفسه على أخذه ترفعاً وتنزهاً[3].

(ومنها): أن الإنجليز لما تغلغلوا في البلاد الإسلامية حاولوا أن يتألفوا الرؤساء وذوي المقام الاجتماعي فيها

⇒ لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ٩ : ٣٧٥ ، والحصون المنيعة ٨ : ٣٧٤ ، شعراء الغري ٩ : ٣٨٨، وغيرها .

(١) معارف الرجال ٢ : ١٠٨ .

(٢) انظر : ص ٢٨ هامش ٢.

(٣) وممن عرضت عليه وترفَع عنها السيد حسين السيد رضا بحر العلوم (١٢٢١ ــ ١٣٠٦ هـ)، فقد رفض المبالغ الكبيرة التي فوضت إليه من خيرية (أودة) الهندية، وهي أن يستلم شهرياً خمسة آلاف روبية إنجليزية، فقد هجر النجف على أثرها وسكن كربلاء فراراً منها.

انظر: أعيان الشيعة ٢٦: ٥٨ ، شعراء الغري ٣: ٢١٦.

ـ بما في ذلك علماء الدين ـ بالهدايا والأموال، ونجحوا في كثير من ذلك، مما سهل عليهم مدَ الجسور وفتح الحوار والتحكم في الأُمور .

وقد حاولوا ذلك مع مراجع الشيعة وعلمائهم فباؤوا بالفشل، حتى أن السير (رونالد ستورز)[1] لما فشل هو ومن قبله ثلاث مرات في إقناع المرجع الكبير المرحوم السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي(قدس سره)[2] في قبول المال منهم ـ ولو بحجة مساعدتهم في توزيعه على الفقراء ـ عقب على ذلك بأنه يعتقد أن الشيء المهم الذي كان يعبأ به السيد هو الأنفة والإباء، لا المال.

ثم يقول: «وهذا موقف بعيد تمام البعد عما يحدث في مصر والحجاز في ظروف مماثلة»[3].

كما أنه أشاد بقوة شخصية السيد المذكور وتعاليه، حيث يذكر أنه بعد أن تبَحر في وجه السيد أدرك في الحال

---

(١) مبعوث بريطاني، كان يتقن اللغة العربية، زار النجف الأشرف والتقى ببعض الوجهاء والأدباء والعلماء.

(٢) انظر : ص ٦٩ هامش ١.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف الأشرف ١: ٢٥٧.

السرَ في شهرته ونفوذه، فهناك قوة في سيمائه الواضحة وعينيه الرماديتين المتعبتين وسلطان في وجوده وحديثه الخافت مما لم يجد له مثيلاً في أي مكان آخر من بلاد المسلمين[1].

وذلك وإن لم يكن غريباً علينا، بل هو متوقع من كلَ متدين، فضلاً عن المراجع العظام الذين يمثلون خط الإسلام، إلا أن اُلفتنا له إنما كانت بسبب التركيبة المثالية للحوزات الدينية التي هي امتداد لمدرسة الأئمة عليهم السلام وللمرجعية الدينية التي يفترض فيها أن تكون ممثلة لهم(صلوات الله عليهم). ولولا ذلك لكانوا كغيرهم من ذوي المكانة والنفوذ حتى المحسوبين على الدين.

ويبدو أثر ذلك كله واضحاً في موقف بريطانيا في العراق، حيث تجنبت التعامل مع الشيعة وعلمائهم ، بل شددت في تجاهلهم وفي الضغط عليهم، مع أنهم الأكثرية المستضعفة في عهد الحكم العثماني المعادي لهم، والمنحدر أمامهم التي يفترض أن يتعامل معها الحاكم الذي يخلفه.

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف الأشرف ١ : ٢٥٦.

لكنها حيث لم تجد منهم التجاوب معها ووجدت منهم الوقوف في وجهها والإنكار عليها تركتهم، واعتمدت على غيرهم ممن كان يوالي العثمانيين، وينعم بظلهم، وله النفوذ والسلطان في عهدهم.

وهذه ضريبة الحق والمبدأ، والحمد لله على هدايته وتوفيقه، ونسأله أن يثبتنا على ذلك ويوزعنا شكره، وأداء حقه فيه.

(ومنها): تصدي العلماء الأعلام والمراجع العظام للحكومات القائمة في البلاد الإسلامية حينما كانت تعرض عن قوانين الإسلام وتعاليمه، وتحاول فرض القوانين والسلوكيات الكافرة والعمل عليها متأثرة بالأجنبي حينما بدأ يتنفذ في المنطقة، وأخذت فاعلية الدين تضعف بسبب ذلك. فكانوا يقفون في وجه تلك الحكومات وينكرون عليها ذلك كما ينكرون عليها سائر تجاوزاتها ومظاهر انحرافها. وكان ذلك موقفهم الثابت الذي لا يحيدون عنه ما وجدوا إليه سبيلاً.

وربما تطورت الأُمور فكان لذلك الموقف مضاعفات وردود فعل مأساوية قد تنتهي بإراقة الدماء.

ولعل من أفجعها ما حصل في إيران حينما سارت حكومة رضا بهلوي في طريق الانحراف والتنكر للإسلام بوحي من الأجانب، فأرادت تحويل المجتمع الإيراني المسلم المؤمن بالقسر والقهر إلى مجتمع غربي في سلوكه وتحلله، فوقف رجال الدين في وجهها وأنكروا عليها حتى إذا تأزمت الأُمور ردّت الحكومة بقسوة بالغة انتهت بالمأساة والفجيعة قتلاً وسجناً وتشريداً في حملة لإنهاء الوجود الديني في إيران، ولم ينج من ذلك إلا حوزة (قم) المقدسة، حيث تجمعت البقية الباقية فيها برعاية المرحوم المرجع الديني الشيخ عبد الكريم اليزدي(قدس سره)[1] كما سبق.إلى أن فرَج الله تعالى بعد محنة عسيرة طال أمدها. وعظمت محنتها، وكثرت ضحاياها. والحمد للهرب العالمين على عظيم البلاء وجميل صنعه بعباده المؤمنين، وحسن اختياره لهم، فإنه الأعلم بصلاحهم، الرحيم بهم.

وبعد ذلك في عصر المرجع الكبير آية الله السيد

---

(١) انظر : ص ٧٧ هامش ٢.

البروجردي(قدس سره)[1] حاولت السلطة سَنَ بعض القوانين الكافرة وتمريرها. فوقف(قدس سره) دون ذلك بحزم وصرامة، فلم تجرأ السلطة على مخالفته لما له من مقام رفيع وقوة جماهيرية. حتى إذا قضى نحبه أعادت الكرة، وكشرت عن أنيابها، فكان ما كان من ما هو معروف مشهور.

وفي العراق كان المرحوم سيدنا الجد آية الله السيد الحكيم(قدس سره)[2] في صراع مستمر من أجل القوانين المخالفة للإسلام والمنافية للدين في العهد الملكي والقاسمي والعارفي، مما أوجب توتر العلاقة بينه وبينها في أغلب الأوقات.وهي تارة تضطر للاستجابة له، وأخرى

---

(١) السيد حسين السيد علي البروجردي(١٢٩٢ ـ ١٣٨٠ هـ)، زعيم الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة في عصره، اهتم بالتقريب بين المذاهب الإسلامية وسعى له، له مؤلفات في الفقه والأصول والرجال.

لمزيد من التفاصيل انظر : نقباء البشر ١ : ٦٠٩ ، الموسوعة الفقهية الميسرة ١ : ٥٧٠، وغيرها.

(٢) انظر : ص ٢٨ هامش ٢.

تمتنع عليه حسب اختلاف الظروف والأحوال، وكانت هذه محنته معها وشكواه منها إلى آواخر أيامه.

ومن أجل هذه المواقف المبدئية لأهل العلم والمرجعية كان رجال الدين عبئاً على أنظمة الحكم القائمة في البلاد، وعلى الأجنبي من ورائها، ولذا يجعلونهم في حسابهم عند تحركاتهم، ويخططون للقضاء عليهم، أو إضعافهم، أو تحجيمهم، أو إسكاتهم، وخنق أصواتهم. كما قد يحاولون إغراء العامة والمدسوسين بهم، وتشويه سمعتهم، والنيل منهم، حسب اختلاف الظروف والملابسات.

وتجلى هذا بوضوح منذ بدأ الأجنبي الكافر يتنفذ في البلاد، ويتحكم فيها، ولا يزال الصراع مستمراً، و﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾[1]، وعليه المعول في جميع الأُمور.

---

(١) الروم : ٤ .

س١١ يصور البعض المرجع الديني منعزلاً عن شؤون الأُمَّة ومحنتها، فما هو تقييمكم لهذه الفكرة؟ خاصة أنكم تصديتم لتحمل مسؤولية المرجعية الدينية.

☑ حثّ الإسلام أفراد المسلمين عموماً على الاهتمام بشؤون المسلمين، حتى ورد أن من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم[1]، وأن المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر الجسد[2]... إلى غير ذلك.

فإذا كان الاهتمام بأُمور المسلمين مطلوباً من أفرادهم عموماً، فكيف بعلماء الدين ومراجع المسلمين الذين هم الأعرف بأحكام الإسلام وتعاليمه الشريفة، والأحرى بالجري عليها والأخذ بها. ولا سيما بعد إطلاعهم على مشاكل الأُمَّة بسبب احتكاكهم بالناس،

---

(١) راجع الوسائل ج : ١١ باب : ١٨ من أبواب فعل المعروف .

(٢) الكافي ١٦٦/٢.

وتعرفهم عليهم، وانشدادهم لهم بحكم مركزهم.

ويشهد على ما ذكرنا أمران معروفان من حال مراجعنا العظام وسيرتهم..

(الأول): أن المرجع كثيراً ما يتخلى عن دروسه التقليدية وكثير من التزاماته الخاصة ـ في بعض عباداته ومعاشراته ـ نتيجة انشغاله بشؤون المرجعية ومشاكل الناس ومتاعب الأُمَّة، لأنها بنظره أهمّ من تلك الالتزامات التي أفنى عمره فيها اهتماماً بها، وألفها في حياته طويلاً وأحبها.

(الثاني): أن المرجع كثيراً مّا يتعرض للمحن والمضايقات من أعداء الأُمَّة والحاقدين عليها، ولولا اهتمامه بأُمور الأُمَّة، ومشاركته لها في آلامها وآمالها، وسعيه لخيرها، ودفاعه عنها، ومطالبته بحقوقها، لما تعرض لذلك. بل كثيراً ما يكون هو في واجهة المحنة، وعليه ينصب الحقد والنقمة.

وكم وقف علماؤنا الأعلام ومراجعنا العظام من العتاة والظالمين موقف الخصم المدافع عن حقوق المؤمنين المظلومين، والساعي لدفع الظلامات عنهم، واهتموا

بمعالجة مشاكلهم ومواساتهم في محنهم وإصلاح أمورهم، وسد حاجاتهم العامة والخاصة..

١ ــ فالمرجع الشهير كاشف الغطاء الكبير الشيخ جعفر(قدس سره)[١] قد تشفَّع عند السلطان فتح علي شاه في إطلاق سراح الأسرى العثمانيين[٢] من أجل تخفيف حدَة التوتر بين الدولتين، وتجنيب الشعبين المسلمين مآسي ذلك.

٢ ــ كما أنه(قدس سره) قد صان النجف الأشرف ودفع عنه غارات الوهابيين التي كانت تقصده وتكاد تفتك به كما فتكت بكربلاء، فأعدّ العُدّة للدفاع بحمل أهل

---

(١) الشيخ جعفر الشيخ خضر كاشف الغطاء (١١٥٤ ــ ١٢٢٧ هـ) تولى الزعامة الدينية في عصره ، ولد ونبغ وتوفي في النجف الأشرف وكان معروفاً بالعلم والورع، دافع عن النجف دفاعاً مستميتاً ضد الغزاة وكانت داره مشجباً للأسلحة وثكنة للجنود والمتطوعين .

من آثاره «شرح قواعد العلامة الحلي» ، «غاية المأمول في علم الأصول» ، «أحكام الأموات» .

لمزيد من التفاصيل انظر : روضات الجنات ٢ : ٢٠٠، ماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٣١ ، وأعيان الشيعة ١٥ : ٣٠٦، وغيرها .

(٢) معارف الرجال ١ : ١٥١ .

العلم والنجفيين على التدريب على حمل السلاح والدفاع عن البلد، وكان هو(قدس سره) وأولاده وأهل العلم يباشرون ذلك مع الناس[1]، في وقائع مفصلة استفاضت في تفصيلها أحاديث المؤرخين، وتواترت عند الناس.

٣ ـ وكان مفزعاً للمستضعفين وكهفاً لهم في الفتنة المعروفة بين فرقتي الشمرت والزكرت في النجف الأشرف[2].

كما تحمل عن النجفيين بعض الضرائب الفادحة التي وضعها العثمانيون[3].. إلى غير ذلك من أعماله الجليلة.

٤ ـ وولده الشيخ موسى(قدس سره)[4] ـ الذي

---

(١) معارف الرجال ١: ١٥١ ، وماضي النجف وحاضرها ٣: ١٣٧ .

(٢) ماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٣٨ .

(٣) ماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٣٨ .

(٤) الشيخ موسى الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٨٠ ـ ١٢٤٣ هـ) من مراجع التقليد في النجف الأشرف ولد ونبغ وتوفي فيها،يعرف في العراق وإيران بالمصلح بين الدولتين المسلمتين إيران وتركيا.
من مؤلفاته : «أحكام الصلاة» و «بغية الطالب» ⇐

خلفه في المرجعية ـ هو الذي منع الوالي العثماني داود باشا من فرض التجنيد الإجباري على النجفيين[1]، وقد فرض شخصيته عليه، فكان يعظمه كثيراً[2].

٥ ـ كما أنه أصلح بين الدولتين الإيرانية والعثمانية[3]، وجنب الشعبين المسلمين محنة الخلاف بينهما ومآسيه.

٦ ـ وسعى في حفظ خزانة العتبة المقدسة في النجف الأشرف، فسجلها ونقلها إلى الكاظمية احتياطاً عليها من غارات الوهابيين[4]، الذين نهبوا نفائس الحرم الحسيني في بعض هجوماتهم على كربلاء المقدسة.

⇒ و «كتابااللقطة والغصب والقضاء».

لمزيد من التفاصيل انظر أعيان الشيعة ٤٩: ٤٢ ، ريحانة الادب ٥:٢٦ الكنى والألقاب ٣ : ١٠٣، وغيرها .

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣ : ٢٠١ .

(٢) معارف الرجال ٣ : ٢٧ وماضي النجف وحاضرها ٣ : ٢٠١.

(٣) معارف الرجال ٣ : ٢٦ ، وماضي النجف وحاضرها ٣ : ٢٠١ .

(٤) معارف الرجال ٣ : ٢٨ .

٧ ـ وأخوه الشيخ حسن(قدس سره)[١] قد دفع عن النجف الأشرف عادية الوالي العثماني نجيب باشا، وإنه بعد أن فتك بكربلاء توجه بجيشه للنجف الاشرف، للفتك بها وتدميرها، فخرج إليه الشيخ حسن(قدس سره)، وسيطر على مشاعره حتى ثناه عن عزمه، فدخل النجف سلماً في قصة طويلة[٢].

٨ ـ ودافع عن الشيعة في موقف له محمود مع علماء بغداد في عهد الوالي المذكور[٣].

٩ ـ وكان له موقف مشرف في إخماد فتنة الشمرت

---

(١) الشيخ حسن الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٨٠ ـ ١٢٤٣ هـ) من مراجع التقليد في عصره . جند وعبأ وسلّح النجفيين للذود عن حياض مدينتهم المقدسة ضد المعتدين .

من مؤلفاته: «أنوار الفقاهة»، «شرح أصول كاشف الغطاء»، «تكملة بغية الطالب».

لمزيد من التفاصيل انظر: الأعلام ٢: ٢٠١، أعيان الشيعة ٢١: ١٣٣ ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣ : ١٠٤٠، وغيرها .

(٢) معارف الرجال ١ : ٢١٣ ، وماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٤٨ .

(٣) معارف الرجال ١ : ٢١٥، وماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٤٨.

والزكرت التي أضرت بالنجف والنجفيين[1].

١٠ ـ والشيخ الجليل صاحب الجواهر(قدس سره)[2] قد عرف عنه أنه نهض للنجفيين عند هجوم الطاعون عليهم سنة (١٢٤٧ هـ) ، وسارع لغوثهم ومواساتهم.

وكذلك كان موقف العَلَم المقدس السيد باقر القزويني(قدس سره)[3] حيث وقف في ذلك الطاعون

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ١٤٨/٣.

(٢) انظر : ص ١٩ هامش ٢.

(٣) السيد باقر السيد أحمد القزويني المتوفى عام ١٢٤٦ هـ من مجتهدي الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، نظَّم أمور الناس في حارات النجف أيام اجتياح وباء الطاعون للمدينة . وهيأ ما يحتاجون إليه من إسعافات وعلاج وأقام أماكن عزل للمصابين وتولى تكفين وتجهيز ودفن حوالي أربعين ألفاً ممن ماتوا به وتولى كفالة أطفالهم وعيالهم . وحين أتم كل ذلك على أحسن وجه قدَر الله له أن يكون آخر من توفي بالطاعون.

له «جامع الرسائل في الفقه» ، «حواشي على كشف الإمام» ، و«الوسيط في الطهارة» .

لمزيد من التفاصيل انظر : أعيان الشيعة ١٣ : ١٣٢ ، الكنى والألقاب ٣ : ٦٢ ، معارف الرجال ١ : ١٢٣، وغيرها.

موقفاً مشرفاً لتنظيم أُمور الناس وسد حاجاتهم فيه، وكان آخر من توفى بالطاعون المذكور[1].

١١ ــ كما أن الشيخ صاحب الجواهر(قدس سره) قد جدّ واجتهد في مشروع إيصال ماء الشرب للنجف الأشرف حتى أشرف على إنهائه، إلا أن الأجل لم يمهله لإكماله، فبقي معطلاً مدة طويلة، ثم أكمله السيد الجليل السيد أسد الله الرشتي(قدس سره)[2].

١٢ ــ ولما اشتد الغلاء سارع السيد الشيرازي الكبير(قدس سره)[3] لتخفيف وطأته عن أهالي النجف الأشرف، فعين لكل محلة من محلات النجف ولكل فئة من سكانها جماعة يوزعون الحبوب على المحتاجين، واستمر على ذلك حتى حلّ موسم الحصاد الجديد، وارتفعت الشدة عن الناس[4].

١٣ ــ وكان (قدس سره) يعطي فيفضل، وينيل

---

(١) معارف الرجال ١ : ١٢٤ .

(٢) معارف الرجال ٢ : ٢٢٨ ، وماضي النجف وحاضرها ١ : ١٩٧ .

(٣) انظر : ص ٩٠ هامش ١.

(٤) لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ٣ : ٨٨ .

فيجزل، وكان يجمع للفقراء وأهل القرى والبوادي ما يحتاجون إليه من ألبسة وأطعمة في السنة مرتين[1]

١٤ ــ ولما ذهب إلى سامراء نصب جسراً من القوارب على نهر دجلة أمامها بلغت كلفته ـ فيما قيل ـ ألف ليرة عثمانية، لتسهيل العبور على الزوار والناس، وله منشآت خدمية مهمة في سامراء[2].

١٥ ــ ولما رأى المرحوم الشيخ محمد الشربياني(قدس سره)[3] ما يتعرض له الحجاج على الطريق البري من النجف الأشرف إلى جبل «حايل» من مخاطر ومهالك،

---

(١) معارف الرجال ٢ : ٢٣٥.

(٢) لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث ٣ : ٩ .

(٣) الشيخ محمد ابن المولى مفضل علي الشربياني (١٢٤٥ ـ ١٣٢٢ هـ) من مراجع التقليد في النجف الأشرف عرف برعايته الخاصة للأرامل والأيتام والزوار والفضلاء، شيّد مدرسة للطلاب وتوفى بلا دار ولا عقار وعليه دين جسيم .

من مؤلفاته : «حاشية فرائد الأصول» ، «حاشية المكاسب» وكتاب في أصول الفقه.

لمزيد من التفاصيل انظر : أحسن الوديعة ١ : ١٧٦ ، أعيان الشيعة ٤٦ : ١٨٨ ، ماضي النجف وحاضرها ٣ : ٥٥٤، وغيرها .

ونصب وعطب، جهد في منع الطريق، وحرّم سلوكه حفاظاً على أرواح المؤمنين، مما اضطر الحكومة الإيرانية إلى منع حجاجها منه. ووافقه بقية العلماء لما استبان لهم صحة وجهة نظره بالتجربة، فانقطع الطريق تماماً في بعض السنين[1].

١٦ ـ وقد أنشأ المرحوم المقدس المرجع الديني الشيخ محمد طه نجف (طاب ثراه) خاناً كبيراً في الهندية ينزله الزائرون للحسين عليه السلام في طريقهم إلى كربلاء، من أجل تخفيف معاناتهم.

١٧ ـ ولما اصطدم الأتراك بالنجفيين في أواخر أيامهم في العراق ووجهوا مدافعهم نحوهم فأصابت بعض القذائف الصحن الشريف وألحقت بعض الأضرار به، أبرق المرحوم المرجع الكبير السيد محمد كاظم اليزدي(قدس سره)[2] للاستانة محتجاً على ما حصل من

---

(١) معارف الرجال ٢ : ٣٧٣ .

(٢) انظر : ص ٦٩ هامش ١.

التعدي على الصحن الشريف وعلى الناس[1].

١٨ ــ وأنشأ السيد اليزدي المذكور (قدس سره) خاناً كبيراً في النجف الأشرف في محلة العمارة للزائرين ينزله من لا يتيسر له المأوى منهم. وبقي هذا الخان إلى أيامنا حتى تعطل، فراجع بعض أولاده سيدنا الجد السيد الحكيم (قدس سره) فجعله مدرسة دينية بعد أن غير فيه وحوّر، وأنفق سيدنا الجد (قدس سره) نفقات باهظة من أجل ذلك لكنه هدم في الأعوام القريبة في ضمن ما هدم من محلة العمارة.

١٩ ــ وعرض المرجع الشهير السيد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره)[2] في أواسط القرن المذكور على الوصي على عرش العراق عبد الإله حين اجتمع به ـ فيما بلغنا ــ أن يضع جسراً على نهر دجلة مقابل سامراء لتسهيل الأمر على الزائرين، حيث استهلك الجسر الذي

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف الأشرف ١ : ٢٥١ .

(٢) انظر : ص ٧٥ هامش ٣.

صنعه السيد الشيرازي(قدس سره)[1] قبل نصف قرن، وكان العبور منحصراً بالطريق النهري آنذاك. لكنه لم يتم له ما أراد.

٢٠ ـ كما أنه حاول التخفيف عن معاناة الناس كافة في النجف الأشرف لما ظهرت بوادر أزمة الحنطة بسبب الحرب العالمية الثانية، حيث يقول المتحدث: «فأخذ على عاتقه جلب الأطعمة إلى النجف وأمر بزيادة الأفران ومضاعفة الترفيه حتى صارت الحرب من وسائل النعمة والإغداق على كثير من الفقراء»[2].

٢١ ـ وقد طالب المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(قدس سره)[3] وجماعة من أهل العلم معه بحقوق الشيعة في العراق في العهد الملكي، واستقطب جمعاً كثيراً في ذلك، إلا أن الناس الذين نهضوا معهم خذلوهم، ولم يستطيعوا أن يحققوا شيئاً. بل عانوا الكثير من الدولة في

---

(١) انظر: ص ٩٠ هامش ١.

(٢) مجلة الدليل العدد: ٣، ٤ وهو العدد الخاص بمناسبة وفاته (قدس سره): ١٣٥.

(٣) انظر: ص ٨٦ هامش ١.

أعقاب ذلك.

٢٢ ــ وقد كان سيدنا الجد السيد الحكيم (قدس سره)[1] في عهد مرجعيته الطويل الذي عشناه ملجأ للمؤمنين في العراق وخارجه، وكان دأبه القيام بحلّ مشاكلهم، والمطالبة بحقوقهم، ودفع الظلامات عنهم، والاهتمام بشؤونهم، وبتثقيفهم دينياً، وجمع كلمتهم، وإصلاح ذات بينهم... إلى غير ذلك مما لا يزال الناس يذكرونه به ويشكرونه له.

وجاء مَن بعده ليؤدوا ما عليهم في هذا الجانب ضمن قدراتهم المحدودة وظروفهم الصعبة، والأوضاع المعقدة التي مضوا فيها بصبر وحكمة، وليس لهم إلا الله تعالى، وعليه جزاؤهم.

وقد تقدم في جواب السؤال السابق عرض جملة من الأحداث التي بذل العلماء (رضوان الله تعالى عليهم) فيها أنفسهم للدفاع عن الإسلام والمسلمين وسعوا فيها جاهدين لخدمتهما ورعايتهما.

---

(١) انظر : ص ٢٨ هامش ٢.

هـذا غـيض مـن فـيض ممـا قامـت بـه المرجعـيات في العـراق في العصـور القريـبة. ولا يتيسـر لـنا اسـتعراض مـا قامـت بـه في العصـر الأسبق، ولا ما قامت به المرجعيات في الأقطـار الأخـرى، ولا سـيما إيـران حيث تكون المرجعيات فيها أوسـع قـدرة وأعـم نشـاطاً. لعـدم تيسـر مصادر الكثير منه لنا، ولئلا يطول المقام بنا.

٢٣ ــ ولم تقتصـر اهـتمامات المرجعـية الدينـية عـلى تلـك الجوانـب، بـل تعدّتهـا للجانـب الثقافي، لمـا تدركه من أهمية الثقافة في تكوين شخصية الأمة ورفع شأنها.

ويحسـن بـنا إثـبات مـا تيسـر لـنا معرفـته مـنها بغـض الـنظر عـن ترتـب النـتائج المرتقـبة مـنه وعدمهـا، لملابسـات أو موانـع خارجـية غـير متوقعة، فـإن المهـم هـو السعي نحو خير الأمة وخدمتها والنتائج بيد الله تعالى، كما قال الشاعر :

على المرء أن يسعى بمقدار جهده

وليس عليه أن يكون موفقـاَ

وبعد ذلك نقول :

أ ــ حيـنما أدرك عـلماؤنا الأعـلام في بدايـة القـرن

الماضي الهجري شدة الحاجة للشباب الشيعي المثقف في أعقاب الركود الثقافي في العراق في أواخر العهد العثماني، كان من اهتمامات المرجعية والحوزة عموماً تأسيس المدارس الجعفرية، وقد أجازت المرجعية في حينه ـ على ما بلغنا موثقاً ـ بذل الحقوق الشرعية من أجلها.

كما دعمها بعض رجال الحوزة المرموقون بأنفسهم وشجعوها بمختلف الطرق. ومن ذلك حضور المجالس المعقودة في مناسباتها.

وقد بلغنا أن المجاهد الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي(قدس سره)[1] كان يحضر تلك المجالس اهتماماً بها وتشجيعاً لها، حتى كان شرار بعض الألعاب النارية التي تطلق ابتهاجاً بتلك المناسبات تقع عليه وهو مبتهج بانتظار الآمال التي كان يعقدها على تلك المؤسسة.

ب ــ وفي أواسط القرن المذكور دعمت المرجعية الدينية ــ ولا سيما المرجع الشهير السيد أبو الحسن

---

(١) انظر : ص ٦٥ هامش ١.

الأصفهاني[1] والمرجع المعظم الشيخ محمد رضا آل يس (قدس سرهما)[2] ـ جمعية منتدى النشر[3] في مهمتها بإنشاء كليتها الدينية وفتح المدارس في بعض مدن العراق ـ

---

(١) انظر : ص ٧٥ هامش ٣.

(٢) انظر : ص ٢٩ هامش ١.

(٣) جمعية منتدى النشر : أسست في مدينة النجف الأشرف (سنة ١٩٣٥ م) ناهضة بفكرة تنظيم الدراسة النجفية وتطوير مناهجها إلى ما يسع مختلف نواحي الحياة الثقافية التي يحتاجها رجل الدين في هذا العصر. وقد أصدر أعضاؤها عدة كتب جسدّت هذا المنحى منها «المنطق» و«أصول الفقه» و«عقائد الإمامية» للشيخ محمد رضا المظفر و«الأصول العامة للفقه المقارن» و«القواعد العامة في الفقه المقارن» للسيد محمد تقي الحكيم و«محاضرات في التاريخ الإسلامي» للشيخ محمد مهدي شمس الدين وغيرها.

أنشئت (لجنة الوعظ والخطابة) سنة ١٣٦٤هـ بهدف توجيه شباب الخطباء وناشئتهم إلى معالجة المشاكل المنبرية بالأساليب الصحيحة ثم أنشأت (كلية منتدى النشر) ومجلتها (البذرة)، و(كلية الفقه) ومجلتها (النجف).

لمزيد من التفاصيل انظر : منتدى النشر أعماله وآماله، النجف ، والتقرير العام لجمعية منتدى النشر، النجف ١٩٥٥م ، ومنتدى تطور وتاريخ ، مجلة النجف ، العدد : م ـ ١٩٦٨.

كالنجف الأشرف والكاظمية المقدسة وغيرهما[1] ـ من أجل تنشئة شباب شيعي مثقف متدين يؤدي مهمته في خدمة المجتمع. حتى شجع ذلك بعض ذوي المال والنفوذ بإنشاء مدارس تحت رعايتهم، كما فعل المرحوم بلاسم الياسين، فقد أنشأ في مدينة (الحي) من محافظة واسط مدرسته، كما أنشأ بعض وكلاء المرجعيات بعض المدارس في مناطقهم.

---

(١) مدارس منتدى النشر : مدارس أنشأتها جمعية منتدى النشر في مدينة النجف الأشرف وبعض مدن العراق الأخرى من مستوى الدراسة الابتدائية إلى المتوسطة الثانوية، هدفها تزويد الطلاب بالثقافتين الدينية وفق منهج أهل البيت عليهم السلام والدنيوية وفق المنهج الرسمي المقرر. وقد خرجت مدارس منتدى النشر وكليتيها المئات من الطلاب الدين كان للكثير منهم دور بارز فيما بعد من إيصال الفكر الإسلامي إلى مساحة أوسع من العالم. ولعل العديد من الكتاب والمثقفين وناشطي الحركة الإسلامية والأدباء والشعراء والخطباء والمدرسين وغيرهم من خريجيها وفق إحصائية أثبتت ذلك.

لمزيد من التفاصيل انظر : منتدى النشر أعماله وآماله، النجف ، أعداد مجلة النجف، النجف، ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨م وغيرها ، أعداد مجلة البذرة، طلاب كلية منتدى النشر ، النجف وغيرها.

ج ـ كما دعموا جمعية المنتدى في مشروعها الآخر، وهو تأسيس المجمع الثقافي لمنتدى النشر[1]، حيث قام المجمع المذكور بنشاط إسلامي ثقافي نافع بإلقاء بحوث أسبوعية ونشرها بكتب أصدرها المجمع، كما قامت الجمعية بطبع بعض الكتب في جملة نشاطها الثقافي.

د ـ وكان ذلك من أوليات اهتمامات سيدنا الأستاذ الجد السيد الحكيم(قدس سره) حتى أنه في أول مرجعيته كان له حديث مفصل مع مدير الأوقاف العام في حينه عبد الرحمن خضر حينما زاره في النجف الأشرف حيث تحدث معه حول مشكلة التعليم الديني في العراق، الذي

---

(١) المجمع الثقافي لمنتدى النشر : من مشاريع منتدى النشر، افتتح نشاطه الثقافي باحتفال كبير عام ١٩٥٦م بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ومولد الإمام جعفر الصادق عليه السلام آخذاً على عاتقه مسؤولية إحياء الناسبات الدينية وإقامة المواسم الثقافية والأدبية والتعريف بالفكر الإمامي وما قامت به مدينة النجف المقدسة مرجعيتها الدينية من مهام كبرى والسعي إلى تناول مشاكل المحيط وعرضها عرضاً صريحاً والعمل على علاجها قدر آلامكن إضافة لتحقيق ونشر الكتب المهة.

لمزيد من التفاصيل انظر : المناسبات الدينية، مجلة النجف، العدد ١ ـ ١٩٥٦.

كان مهملاً تقريباً في المدارس الحكومية، فوعده المدير المذكور بأن يسعى لذلك، وأنه سوف يخص المناطق الشيعية في العراق بمناهج شيعية.

ولكن تعصبه قد غلبه ولم يف بوعده بتخصيص المناطق الشيعية بمناهج شيعية، مما أغضب المرحوم السيد الجد(قدس سره)، حتى أنه لما جاءه زائراً مرة أخرى فوصل إلى باب داره بلغ برفض السيد الاجتماع به فرجع خائباً.

وبقي السيد(قدس سره)يترقب الفرص ويحاول العمل في ذلك حتى تسنى له دعم مدارس الإمام الجواد عليه السلام [1] التابعة للصندوق الخيري، ثم أنشئت كلية

---

(١) مدارس الإمام الجواد عليه السلام: صممت برامجها لتخريج طلاب يجمعون في ثقافتهم بين الثقافتين الدينية وفق منهج أهل البيت عليهم السلام والدنيوية وفق مناهج وزارة التربية المعتمدة تماماً كما هو الحال بمدارس منتدى النشر.

وقد فتحت مدارسها في مدينة الكاظمية ببغداد بمستوى الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية كما فتحت مدارس مثيلة لها في مدينة البصرة. ⇐

أصول الدين[1] في بغداد تحت رعايته وبدعم منه.

وقد أرسل البحاثة الكبير آية الله السيد محمد تقي الحكيم[2]، ليحاضر في معهد الدراسات الإسلامية التابع

⇒ لمزيد من التفاصيل انظر : أعداد «مجلة رسالة الإسلام» كلية أصول الدين بغداد، وغيرها.

(١) كلية أصول الدين : أسست في بغداد عام ١٩٦٤م ووضعت برامجها على أساس تخريج طلاب يجمعون بين الثقافتين الدينة والدنيوية وفق خط أهل البيت عليهم السلام. أصدرت مجلة «رسالة الإسلام» ثم بعد وفاة الإمام الحكيم(قدس سره) حولت إلى كلية مسائية، ثم ألحقت بكلية الآداب / جامعة بغداد، وقد توقفت مجلة «رسالة الإسلام» من الصدور بعد ذلك مثلما توقفت «مجلة النجف».

لمزيد من التفاصيل انظر : إعداد مجلة «رسالة الإسلام» كلية أصول الدين، بغداد. وغيرها.

(٢) السيد محمد تقي الحكيم (١٩٢٤م ـ) من مجتهدي الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف ومن رواد حركتها الاسلامية، ساهم مع الشيخ محمد رضا المظفر وعدد من رجالات الحوزة العلمية في إدارة دفة جمعية منتدى النشر. تولى عمادة كلية الفقه وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية بقسم الدراسات العليا بجامعة بغداد. ⇐

لجامعة بغداد.

وكان آخر ذلك محاولة تأسيس جامعة الكوفة[1] تحت

⇒ انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٤م، ومجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٦٧م، ومجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢م، ومجمع اللغة العربية بعمان عام ١٩٨٠، ومجمع الحضارة الإسلامية الأردني ١٩٨١م، ومثّل النجف الأشرف في مؤتمرات إسلامية ولغوية عديدة.

من تآليفه : «الأصول العامة للفقه المقارن»، «القواعد العامة في الفقه المقارن»، و«التشيع في ندوات القاهرة».

لمزيد من التفاصيل انظر : السيد محمد تقي الحكيم ترجمة في سطور، مقدمة كتاب الأصول العامة للفقه المقارن، تحقيق مجمع العالمي لأهل البيت، قم ١٩٩٧م ، الغابة العذراء : ١١، والاسلوب التقريبي لدى العلامة لسيد محمد تقي الحكيم للدكتور عبد الجبار شرارة ، رسالة التقريب، العدد : ٤، ١٩٩٤م ، وراجع : ثمرات النجف السيد محمد تقي الحكيم، للدكتور محمد كاظم مكي، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩١ ، مقدمة كتاب مالك الأشتر للسيد محمد تقي الحكيم، تقديم الشيخ محمد رضا المظفر، مطبعة الغري، النجف ١٩٤٦م.

(١) جامعة الكوفة : جامعة أهلية أراد لها مؤسسوها أن تكون مستقلة عن المؤسسات الثقافية والجامعية الرسمية، فتقدمت بطلب⇐

رعايته، لولا الملابسات والظروف التي حالت دون إنجاز المشروع المذكور في حينه.

هـ ـ وقد عني بمشاركة أعلام الحوزة بالمؤتمرات العلمية التي تقام خارج العراق ودعمها، حتى أرسل بعض الممثلين عنه للمشاركة في بعضها. كل ذلك من أجل إسماع صوت الشيعة في العالم وإيصال ثقافتهم والتعريف بمقام رجالهم.

و ـ وقد فتح المرحوم المرجع الديني آية الله السيد محسن الأمين (قدس سره) في دمشق مدارس شيعية للذكور والإناث، اهتماماً منه بتثقيف الشيعة هناك ثقافة عامة، وبوجه خاص الثقافة الدينية الشيعية.

ز ـ كما اهتم بذلك المرحوم آية الله البحاثة السيد

⇒ الإجازة الخاصة بالتأسيس بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٦٦ ثم زار وفد من الجمعية المؤسسة للجامعة الإمام الحكيم(قدس سره) في النجف الأشرف فبارك سماحته المشروع العلمي الأكاديمي وأيّده. غير أن المشروع لم يكتب له أن يرى النور.

عبد الحسين شرف الدين(قدس سره)[1] ، فقام بتأسيس الكلية الجعفرية في مدينة (صور) من أجل تثقيف شباب جبل عامل، وإنشاء مدرسة للبنات في محاولة منه لتثقيفهن ثقافة دينية مع الحفاظ على عفتهن وإبعادهن عن الثقافة الغربية الكافرة وما يستتبعها من سلوك متحلل مشين.

ح ــ وقد أنشئت عدة مؤسسات ثقافية في بلاد الغرب ــ حيث يكثر تجمع المسلمين هناك، خصوصاً المهاجرين - من قبل المرجعيات، أو بدعم، أو مباركة منها. ولا زالت المحاولات مستمرة لتكثير تلك المؤسسات بسبب شدة الحاجة لها.

وقد تحدثنا كثيراً مع بعض ذوي العلاقة من أجل حثهم على ذلك، ودفعهم إليه أو الدعوة له، لشعورنا بشدة الحاجة له، خوفاً من ضياع الجيل الجديد الذي يعيش هناك، وانهياره أمام تيار الثقافة الكافرة المتحللة، وغياب المفاهيم الإسلامية والثقافة الدينية عليه، فنخسره بدلاً من أن يكون داعية للإسلام والإيمان، هناك بثقافته الإسلامية

---

(١) انظر : ص ٨٤ هامش ٢.

الأصيلة والتزاماته الدينية الشريفة، ومثله وأخلاقياته الرفيعة، وسلوكه السليم ونهجه المستقيم.

وهو أمر يحق لكل مسلم غيور أن يهتم به ويسعى له بجهده، والله سبحانه وتعالى بعد ذلك في عونه ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾[1].

ط ـ ومن سبل تعميم الثقافة وتسهيلها التي قامت بها الحوزات والمرجعيات أو دعمتها إنشاء المكتبات العامة الحاوية للمصادر العلمية والثقافية، لتسهيل عملية البحث والتأليف على من يريدها.

وقد دعمت وباركت جهود المرحوم البحاثة الشيخ عبد الحسين الأميني (قدس سره) في إنشاء مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف، التي حوت العدد الكثير من المصادر المطبوعة والمخطوطة الهامة.

كما قام سيدنا الأستاذ الجد(قدس سره) بنفسه بإنشاء مكتبته العامرة[2] التي حوت العدد الوفير من تلك

---

(١) العنكبوت: ٦٥.

(٢) مكتبة الإمام الحكيم العامة : فتحت أبوابها للمطالعين ⇐

المصادر، ثم اهتمامه بفتح الفروع لها وتزويد تلك الفروع بالكتب في سائر أنحاء العراق، بل تعدّته لخارج العراق، حتى كان عدد فروعها في أنحاء العراق المختلفة (٦٦) فرعاً، عدا بعض الفروع خارج العراق، مضافاً إلى مد بعض المكتبات في داخل العراق وخارجه ـ ومنها مكتبة

⇒ عام ١٩٦٦م وقد رودت بكل وسائل الراحة وأحدث وسائل التصوير والعرض وقراءة أفلام الكتب واحتوت على أعداد كبيرة من المطبوعات والمخطوطات الثمينة والمصورات عن أشهر المكتبات الإسلامية في العالم الإسلامي وقد ضمت جناحاً خاصاً بتاريخ النجف الفكري والعلمي والثقافي، وكل ما أنتجه المؤلفون النجفيون من مخطوط ومطبوع.

انتشرت فروعها في كافة أنحاء العراق من شماله إلى جنوبه وافتتحت كذلك فروعاً لها في كل من أندنوسيا، وحمص سوريا، وكرمانشاه بإيران، وبيروت ، والقاهرة، والهند، والباكستان، وغيرها. أصدرت مجموعة من المطبوعات. وأرسلت حتى أواخر عام ١٩٨٠م أكثر من (٤٥,٠٠٠) كتاباً للعديد من المكتبات العالمية الشهيرة.

لمزيد من المعلومات انظر: من نوادر مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة، النجف، ١٩٦٣ ، وماضي النجف وحاضرها ١ : ١١٩ ، والإمام محسن الحكيم : ١٣٢، وغيرها.

جامعة الأزهر في مصر بمجموعة من الكتب والمصادر الشيعية.وكان لذلك أعظم الأثر في تثقيف عامة الناس في فروع المعرفة المختلفة.وفي نشر الثقافة الشيعية في العالم الإسلامي.

ولا زالت المحاولات مستمرة في الاتجاه المذكور.

ي ـ وهناك محاولات أخرى وجهود هامة في المجالين المذكورين في مناطق مختلفة، خصوصاً في إيران، لما سبق آنفاً من أن القدرات هناك أكثر ومجال العمل أوسع، ولا يسعنا الإحاطة بها فعلاً، لعدم تيسر المصادر لنا.

ولا يحسن بنا الاقتصار على القليل الذي نعلمه منها، لعدم وفاءه بالغرض، ولئلا نكون قد ظلمنا الآخرين بترك التنويه عن جهودهم.

ك ـ كما دعمت المرجعيات، بل قامت بطبع كثير من كتب الشيعة في مختلف الفنون من أجل نشر الثقافة الشيعية. وهو أمر لا يتيسر إحصاؤه، لكثرته... إلى غير ذلك من الاهتمامات الثقافية التي قامت بها المرجعيات والحوزات على الأمد البعيد وفي المناسبات المختلفة.

على أن من المعروف من سيرة المرجعيات في العهود

الطويلة وإلى اليوم بذل قسط من الحقوق الشرعية التي تصلهم لإقامة المشاريع العامة النافعة، كالمساجد والحسينيات، ومنازل المسافرين وغيرها، كما تقوم ببذل قسط آخر منها للمعوزين والفقراء، وتتفقدهم وتحسن إليهم. وهذا أمر لا يمكن تجاهله وإنكاره وقد تقدم بعضه. وإن اختلف سعة وضيقاً باختلاف المراجع، تبعاً لاختلاف قدراتهم، ووجهات نظرهم. ولكثير منهم في ذلك مواقف مثالية جليلة.

ولا مجال لإطالة الكلام فيه وفي ذكر الأمثلة له بعد وضوحه وشيوعه وكثرته، بنحو يتعذر استقصاؤه أو الإحاطة بأكثره، فضلاً عن استيفائه كله.

ومتى قرّ لمراجع الشيعة قرار، واستراح لهم بال، وخفّت معاناتهم، وهدأت آلامهم، أزاء المشاكل والمحن التي ترد على الدين والمؤمنين وتنزل بساحتهم. والله سبحانه وتعالى وحده العالم بحالهم والناظر إليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهناك أمور حقيقة بالملاحظة..

(الأول): أن قدرات المرجعية محدودة، لأنها لا

تحمل الصفة الرسمية المعترف بها على أرض الواقع. بل كثيراً ما تتجاهل من قبل القوى الفاعلة المعاصرة لها، أو تقاوم في محاولة تحجيمها.

كما أنها تأبى ـ بمقتضى ضوابطها الشرعية، ومثلها الأخلاقية ـ المساومات مع القوى المعترف بها والفاعلة في الساحة.

بل هي تمتنع غالباً من طلب العون المادي والمعنوي حتى من المؤمنين ترفعاً وأنفة من إظهار الحاجة، لما في ذلك ـ غالباً ـ من سلبيات لا تناسب هيبتها وقدسيتها.

ومن ثم فهي لا تملك إلا ما يبذله المؤمنون طوعاً عن قناعاتهم التي لا ضابط لها، ولا يتيسر تحديدها. وكثيراً ما لا تستطيع أن تفرض نفسها على أرض الواقع في مقابل القوى المحيطة بها، بل تكون محاصرة من جانب تلك القوى، كما تحاصر الشعوب المستضعفة من قوى الشرّ والطغيان. ولا سيما مع تعدد المرجعيات، حيث تضعف القوى المذكورة بتوزعها، خصوصاً مع اختلاف وجهات النظر في كثير من الحالات.

(الثاني): أن للمرجعية الدينية وظيفة عظمى

تستنزف كثيراً من طاقاتها، وهي الحفاظ على الحوزات العلمية، والرعاية لها، وتنميتها، من أجل بقاء المعين الذي يمدَ التشيع بالعلماء العاملين، الذين يصلحون للمرجعية، والذين يقومون بالتبليغ الديني للعباد، ويرفعون منار الإسلام في البلاد. ولهذه الوظيفة أولويتها..

(أولاً): لأهميتها، إذ لولاها لانطمست أعلام الدين وضاعت معالمه.

(وثانياً): لانحصار القيام بها بالمرجعية، ولا يتيسر لبقية القوى الخيرة والمؤمنة القيام بها والحفاظ عليها لولاها. وقد حافظت المرجعية على الحوزات بجهد جهيد، وبقي الطالب الحوزوي الجيد متعباً مجهوداً في الأعم الأغلب.

(الثالث): عدم تصدي المرجعية غالباً لإحصاء خدماتها، ولا للإعلام عنها والدعاية لها، فكثير من النشاطات التي تقوم بها والخدمات التي تؤديها لا يطلع عليه إلا من صادف وقوعها على يده، أو تواجده حين حصولها، وكثير منها لا يطلع عليه أحد أبداً.

كل ذلك لعدم الاهتمام بهذه الأُمور بمقتضى الطبيعة

الأولية للمرجعية، وإنما المهم تحقق الخدمة أداءً للواجب، واستجابة للضمير، وتقرباً لله تعالى. بل قد تتعمد الكتمان والإخفاء من أجل ذلك.

وقد كان بعض العاملين في مرجعية سيدنا الجد السيد الحكيم(قدس سره)[1] يحبذ تثبيت بعض الخدمات والتنويه عنها من أجل بيان أهمية المرجعية وفعاليتها. ولم نقتنع في حينه بذلك، تحفظاً على خلوص العمل وصفاء النية والتنزه عن الشوائب. ولكل وجهة نظره، وهو مجزيٌّ بنيته.

وعلى كل حال فقد كان هذا الأمر الثالث سبباً في ضياع كثير من النشاطات والخدمات وخفائها. وربما كان كثير منها مذكوراً في بطون الكتب المعروفة متفرقاً، لا يتيسر الاطلاع عليه إلا بعد جهد جهيد وصرف وقت لا يسعنا فعلاً.

كما كان الأمران الأولان سبباً في قلة النشاطات والخدمات نسبياً.

---

(١) انظر : ص ٢٨ هامش ٢.

إلا أن ذلك لا يعني خفاء السيرة المشرفة للمرجعية الدينية، وجهودها العظيمة، ومواقفها النبيلة الكريمة، والتباس الأمر في ذلك على الناس عموماً[1] فضلاً عن

---

(١) قال المستشرق براون الذي درس تاريخ إيران : «إن المجتهدين والملائية يمثلون قوة عظيمة في إيران، وهم يهتمون في كل ناحية من نواحي الحياة البشرية، من أدق التفاصيل في الطهارة الشخصية إلى أعظم القضايا في السياسة. فالمسلم الشيعي حين تقع له مشكلة لها مساس مباشر بالأحكام الشرعية (التي هي من الناحية العملية تدخل في كل الأمور) فإنه يتقدم بها إلى أحد المجتهدين يستفتيه في حلها، والفتوى التي يصدرها المجتهد قد تشمل تكفير ملك فاسق أو وزير، وقد يعلن فيها أن الذي يؤيد ذلك الملك أو الوزير هو كمن يحارب الإمام الغائب. والواقع إن وجود المجتهدين الكبار في النجف وكربلاء، أي خارج الحدود الإيرانية، دعم مركزهم وجعل لهم حصانة. وقد حاول الكثيرون من حكام إيران تقليص نفوذ هؤلاء المجتهدين قبل العهد الصفوي وبعده، فلم يوفقوا في محاولاتهم إلاّ قليلاً، لان الملائية يؤلفون طبقة وطنية حقيقية ويمثلون في كثير من الأحيان مطامح الشعب ووجهة نظره، واستطاعوا غير مرة أن يدرأوا عن الشعب جور الحكام..».

من كتاب..

Edward Browne
(a Literary history of persia) campridge
p:371-372. VI 4 1953

المؤمنين.

بل ما زلنا نلمس من من عاش من المؤمنين ـ وفقهم الله تعالى ـ مع الحوزات والمرجعيات وخالطها البخوع لذلك والاعتزاز به وتعظيم المرجعيات والحوزات عموماً، وتبجيلها والامتنان منها والشكر لها. فهم ينظرون للمرجع على أنه الأب الرؤوف، والوالد العطوف، يحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، ويعيش معهم قضاياهم ومشاكلهم.

ولا زلنا في حيرة من أمر هذه الظاهرة الجديدة ـ التي توحي بها هذه الأسئلة ـ المتمثلة بالتجاهل لذلك كله، والنيل من المرجعية الدينية والتطاول عليها، حيث لم نعهد لها مثيلاً من قبل، ولا كانت تخطر لنا في بال.

فبالأمس القريب حين نجحت الثورة الإيرانية كانت الثورة توثّق نفسها متبجحة بأنها تحت رعاية المرجعية الدينية الشيعية التي أثبتت جدارتها وأمانتها وإخلاصها على مدى التاريخ الطويل، بنحو لا يقبل الريب.

وبعد أن تعرضت الحوزات عموماً للمآسي الفجيعة نتيجة ردود الفعل المتوقعة في كثير من الأقطار ـ كالباكستان والأفغان وغيرهما ـ فبدلاً من أن يبكي الشباب

المؤمن ـ لما أصابها وأصاب المرجعية معها ـ بدل الدموع دماً، وتتقطع قلوبهم ألماً، إذا بالحوزة والمرجعية تفاجأ بهذه الظاهرة الطارئة وتُتَجاهل مواقفها وأمجادها وجهودها وجهادها، ويَتطاول عليها شريحة من الجيل الجديد من أبنائها، لتقف موقف المدافع عن نفسه، والذابّ عن حقه. فما الذي حدث؟! وكيف صار ذلك؟! أبهذه السهولة يتجاهل الواقع؟! أو بهذه السرعة تنسى الحقائق؟! وما عشت أراك الدهر عجباً!!!.

حقاً أن ذلك لمماً يحز في النفس، ويبعث على المرارة والحسرة.

ليس لان ذلك ظلم للحقيقة المتعبة، فإنّا قد تعودنا الظلم على طول التاريخ حتى ألفناه.

ولا لأنه ظلم لهذه الحقيقة من قبل أبنائها..

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

فإن في الله تعالى عزاء وسلوة.

بل لأمرين..

(الأول): أن في ذلك انتهاك لحرمة المرجعية المقدسة

وهو انتهاك لحرمة الأئمة عليهم السلام خصوصاً إمام العصر(عجل الله فرجه)، فإنه لم يغب عن شيعته إلا بعد أن أحكم أمرهم، وأرجعهم في دينهم لعلمائهم العاملين المأمونين. الذين بهم يحفظ الدين، وتتم الحجة على الناس التي لا بد لله تعالى أن يقيمها عليهم.

أفترى الإمام الصادق عليه السلام حينما قال: «اعرفوا منازل الرجال منا على قدر روايتهم عنا»[1].

والإمام الهادي عليه السلام حينما قال: «فاصمدا في دينكما على كل مسن في حبنا، وكل كثير القدم في أمرنا، فإنهما كافوكما إن شاء الله تعالى»[2].

وحجة آل محمد (عجل الله فرجه) حينما قال: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله»[3].

أفتراهم (صلوات الله عليهم) أرجعوا للعلماء

---

(١) وسائل الشيعة ١٨ : ١٠٩.

(٢) وسائل الشيعة ١٨ : ١١٠.

(٣) وسائل الشيعة ١٨ : ١١ من أبواب صفات القاضي حديث : ٩ .

وليس فيهم في كل زمان من هو أهل للأمانة على أحكام الله تعالى والمرجعية في دينه، فيكونون قد غرّروا بشيعتهم وأوقعوهم في ظلمات التيه والضلال؟ حاشاهم من ذلك. ثم حاشاهم. بل لابد أن يكونوا (صلوات الله عليهم) قد علموا أن فيهم في كل زمان من هو أهل للمرجعية وتحمل الأمانة، لتتضح به معالم الدين وتقوم به الحجة.

ومن المعلوم من حال علماء الطائفة من عصور الأئمة عليهم السلام إلى هذه الأيام التصدي للمرجعية وفق هذه الضوابط المشهورة، ويتشابه سلوكهم بوجه عام في هذه الحقبة الطويلة من الزمن، فالنيل من المرجعية المعهودة مع ذلك تجاهل لهذه الحقيقة الناصعة، واستهوان بأمرهم صلوات الله عليهم. بعد أن أقام الحجة وقطع العذر.

الثاني: أنا نتوجس خيفة وقلقاً على أبنائنا أنفسهم، فقد وعدنا أئمتنا عليهم السلام في نصوص كثيرة جداً بفتن في عصر الغيبة يخرج بها الناس عن دينهم.

ففي حديث المفضل بن عمر: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحّصنّ حتى يقال: مات؟! قتل؟! هلك؟! بأي

واد سلك؟! ولتدمعنَّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفؤن كما تكفأ السفن في أمواج البحر فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه...

قال فبكيت، ثم قلت: فكيف نصنع؟

فنظر إلى شمس داخلة في الصفة فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس؟

قلت: نعم.

فقال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس»[1].

وفي حديث علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام: «إذا فُقِدَ الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم عنها أحد. يا بني إنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه...»[2].

وفي حديث الحسن بن محبوب عن أبي الحسن

---

(١) الكافي ١ : ٣٣٦ .

(٢) الكافي ١ : ٣٣٦ .

الرضا عليه السلام: «لابد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليجة. وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي.»[1]...

إلى غير ذلك من المضامين المرعبة التي تضمنتها أحاديثهم (صلوات الله عليهم).

فإنها تنذر بتعرض المؤمنين للفتن العمياء، وأعاصير الضلال المظلمة التي تشبّه عليهم الأُمور وتستغفلهم عن أمر أهل البيت عليهم السلام، الذي هو الدين الحق، فيخرجون عنه مع أنه أبين من الشمس، لظهور حجته، وقوة أدلته، وفي ذلك الهلاك المريع والشقاء الدائم.

وإن من أعظم الحواجز عن ذلك الحوزات الشريفة والمرجعية الدينية، لأنها تتكفل بدفع الشبهات وإيضاح الحقائق، وبها حفظ الدين وأمر أهل البيت عليهم السلام في عصر الغيبة الطويل.

فإذا نجحت هذه الحملة المشبوهة على الحوزات وعلى المرجعية في فصل المؤمنين أو قسم منهم عنها،

---

(١) إكمال الدين : ٣٣٥ .

وسلب ثقتهم بها وقعوا في التيه، وسهل التحكم فيهم وتضليلهم، وإخراجهم عن دينهم.

فالحذر الحذر أيها المؤمنون على أنفسكم ـ فإنها أحب الأنفس إليكم وأعزها عليكم ـ وعلى دينكم، فإنه عصمة أمركم، وسبب سعادتكم وبه نجاتكم وفوزكم، فلا تفرطوا فيهما.

ومن القريب أن تكون هذه الحملة جزءاً من مخطط التضليل الذي تسعى له قوى الشرّ التي أقض مضاجعها الدين والمؤمنون.

ولا سيما مع تزامن هذه الحملة مع ارتفاع أصوات التشكيك والإنكار واللامبالاة أزاء مسلَّمات الطائفة الحقة وثوابتها، والجرأة على تجاهل الحقائق الواضحة، ومحاولة الخروج عن خطّ أهل البيت عليهم السلام، وظهور موجة التجديد والانحراف.

فعليكم أيها المؤمنون رعاكم الله تعالى..

(أولاً): التمسك بمرجعيتكم الدينية ـ التي هي عنوان الفخر لهذه الطائفة، وبها قد تميزت عن غيرها من الطوائف ـ والتعلق بها والانشداد إليها، لأن بها حفظ

دينكم وصفائه ونقائه، بعيداً عن التحريف والتحوير وتلاعب الأهواء والمؤثرات الخارجية التي لم تبق حقيقة إلا حرفتها، وحورتها، وشوهتها. لكن لا بد من مراعاة الموازين الشرعية في تحديد المرجعية، وكمال التحفظ على الإخلاص والواقعية والقدسية في أمرها، كما أكدنا عليه في أحاديث سابقة.

(وثانياً): الحذر من موجة التشكيك والإنكار لمسلمات الطائفة، التي أشرنا إليها بالتثبت في أمور الدين وثوابته وفقهه وأحكامه والفحص عنها، والرجوع فيها للمصادر الأصيلة. والاستعانة في ذلك بأهل الدين والتقوى والورع والإخلاص، من من هم أهل للأمانة في أمر الدين العظيم، مع التوكل على الله تعالى، وحسن الظن به، واللجأ إليه في التوفيق والتسديد، والهداية والرشاد. وهو القائل وقوله الحق : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين﴾[1]، والقائل: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب❖ومن

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .

يتق الله فهو حسبه﴾[1].

ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويعيذنا وإياكم من مضلات الفتن، ومن الشيطان الرجيم، ويكفينا جميعاً شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ويجعل لنا من أنفسنا زاجراً وواعظاً، ويجعلنا من عباده الصالحين. إنه أرحم الراحمين، وولي المؤمنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الطلاق : ٣٥٢ .

المحتويات

المقدمة ---------- ٥

التمهيد ---------- ٩

وظيفة المرجعية الدينية ---------- ١٥

إرشاد الناس إلى المرجع الجديد ---------- ١٧

اجتماع أهل الخبرة في تعيين الأعلم ---------- ٢٢

تعيين المجتهد الأعلم ---------- ٢٦

عدم جواز التبعيض في التقليد ---------- ٣١

المرجعية ووسائل الاتصال الحديثة ---------- ٣٣

توجيهات لتلاحم طلبة الحوزة العلمية والطلبة الجامعيين ---------- ٣٥

مميزات الحوزة العلمية على المؤسسات الدينية للأديان الأخرى ---------- ٤٠

دور المرجعية على التيارات الفكرية المنحرفة ------- ٤٧

المواقف العملية للمرجعية ضد الاستعمار الأجنبي - ٥٧

شبهة انعزال المرجعية عن شؤون الناس ---------- ١٠٠

بيان بعض الأمور الحقيقية بشأن المرجعية ---------- ١٢٦

وصية المرجعية إلى المؤمنين ----------١٣٧
المحتويات ----------١٤٠